سلسلة الخيال العلمي (٣٢)

في كَوْكَبٍ شبيهٍ بالأَرْض

رواية من الخيال العلمي

د. طالب عمران

فِي كَوْكَبٍ شبيهٍ بالأَرْض

سلسلة الخيال العلمي

الفصل الأول

الحـــب لا يولـــد مرتيـــن

-١-

ما إن حطت سفينة الفضاء القادمة من كوكب الأرض بعد رحلة طويلة، قطعت خلالها ملايين الملايين من الكيلومترات فوق ذلك الكوكب الشبيه بالأرض حتى بدأ رائد الفضاء المكلف مهمة دراسة الكوكب بأجهزته، الإلكترونية المتفوقة، يجهز نفسه وأدواته ولباسه الفضائي مستعداً لمغادرة المحطة، وهو يسمع ترددات العقل الإلكتروني تترجم إلى كلمات: «الوضع لا يزال غامضاً، الاحتمالات تسير إلى وجود حياة عاقلة، ولكن اختبارات الأمواج لم تعط نتيجة بعد».

لاح له سطح الكوكب المليء بالأشجار الغريبة، التي تتحرك أغصانها مع هبات هواء خفيف يأتيها من جهة الغرب. بدأ يتفحص الأشجار بمنظاره اللازري، طالعته حيوانات صغيرة تتحرك على أغصانها، ثوان وانفلت طير كبير الحجم من بين الأشجار يطير مرتفعاً وهو يحمل في رجله شيئاً، ميّزه، كان كائناً يتحرك وبيده آلات خاصة تلمع وتبرق تحت وهج شمس ذلك الكوكب الساطعة، كان شكله قريباً من البشر يرتدي بذلة خاصة تغطي غالبية جسمه ورأسه، الذي لم يستطع أن يميز من ملامحه شيئاً.

تلقى من العقل الإلكتروني، عبارات تتحدث عن أن الوضع لا يزال غامضاً، كان جاهزاً للخروج ينتظر ما سيتوصل إليه العقل الإلكتروني من استنتاجات وحسابات، وهو يراقب بالمنظار اللازري تلك الكائنات التي تراقبه بدورها، ويظهر الحذر على حركاتها، أشكالها مبهمة غامضة له وإن بدت قريبة من البشر..

بدأ العقل الإلكتروني يبث استنتاجاته، وتردداته تترجم إلى كلمات بصوت بطيء هادئ: «يبدو أن سطح الكوكب مسكون بكائنات عاقلة تستخدم طيوراً جارحة في تنقلها، ويبدو من الوهلة الأولى أن حضارة متطورة تستوطن سطح هذا الكوكب، كائنات كثيرة تنتشر في أمكنة غير ظاهرة للعيان تراقب المحطة.. رغم أن أجواء الكوكب مليئة بالأمواج المختلفة التي تبثها محطات خارقة القوة مجهولة المصدر، ما يرى خارج المحطة ليس إلا صورة غير واقعية عن هذا الكوكب وكائناته العاقلة..

لا خطر الآن نداء العقل هو الأقوى.. جو الكوكب مليء بالأكسجين.. ولكن من الأفضل ارتداء الغطاء الواقي».

فتح الباب وقد وضع الكثير من الأجهزة الصغيرة في نطاق بذلته الفضائية.. ومضى يهبط السلم ببطء في حين أغلق الباب بشكل آلي..

حين وصل أرض الكوكب اختبر صلابتها، ثم مضى بسهولة ويسر، قطع الطريق متجهاً نحو الأشجار، وقد تأثر بالمناظر الجميلة من حوله..

لم يكترث للأصوات التي وصلت إليه، «فنداء العقل هو الأقوى» لن يستعمل أحد سلاحاً ضده دون مبرر.. هذا ما كان متأكداً منه..

حين اقترب من الأشجار لمسافة تقل عن مئة وخمسين متراً، انفلتت طيور صغيرة تطير مبتعدة، وتحركت جذوع الأشجار النحيلة مهتزة، وبدأ يرى الأغصان الصغيرة تمتد نحو الأرض.. ثم ظهرت فجأة هياكل لكائنات لم يتمكن من تمييزها، توقف قليلاً.. وضغط على أحد الأزرار لينبعث لحن موسيقي.. فتوقف عندها كل شيء عن الحركة والاهتزاز، واللحن العذب يتردد صداه..

جملة صاخبة طرقت سمعه لم يفهم منها شيئاً.. أحس بحركة وراءه، فالتفت ليجد خمسة كائنات بقامات متوسطة.. يقفون خلفه، استدار يواجههم، أربعة منهم تبدو صلابتهم ومتانة بنيانهم واضحة، وشخص آخر رقيق البنية، دقيقها ما لبث هذا الشخص الرقيق أن خلع غطاء رأسه، لينشر شعراً أشقر جميلاً وليميز فتاة جميلة عذبة.. حذا رفاقها حذوها.. تكلمت إليه بلغة بدأت تقترب من لغته العربية، ثم نطقت بالعربية كلاماً واضحاً:

- مرحباً بك..

زادت دهشته وهي تتابع قولها:

- لا حاجة لغطاء الرأس جو الكوكب مليء بالأكسجين..

مدّ يده إلى رأسه يزيح الغطاء الواقي.. وتنفس من جوّ الكوكب بسهولة ويسر.. وتذكر أن العقل الإلكتروني نبهه «أن ارتداء غطاء الرأس أفضل» ولم يدر السبب، ولكنه سمع صوتها من جديد كأنما قرأت أفكاره: «يوجد القليل من غاز السيانيد، ولكن تأثيره ليس خطراً لأن نشرنا في الجو غازاً خاصاً يحد من خطورته.. لا تخف»..

اقترب أحدهم منه:

- أتتفضل بمرافقتنا؟

نظر حوله فوجد بيضة كبيرة تقبع فوق إحدى التلال.. وإذا بالجماعة تضعه فوق محفة.. وخلال ثوان وجد نفسه قرب البيضة التي لم تكن سوى محطة فضاء صغيرة..

سأل: وكيف تتحركون بهذه السرعة؟

- أذهاننا تقدر المسافات، والأمواج التي يطلقها المخ تنقلنا بسرعة خيالية..

دخل البيضة ليجد عدة مقاعد منتشرة خلف أجهزة، وكوى زجاجية تنتشر على جدرانها .. أجهزة من نوع غريب بدت له بسيطة بعيدة عن التعقيد .. ركّز الجميع أعينهم في محور البيضة.. نظر من الكوة، فوجد أنهم ينفلتون خارجاً بسرعة خارقة.. ويقتربون من جرم صغير ميزه وهم يزدادون اقتراباً منه.. كأنهم على وشك الاصطدام

به.. ثم حطت البيضة فجأة فوق مكان من قشرته الصلبة، ليجد منظراً طبيعياً لم ير في حياته جمالاً يقارب جماله.. مدينة مستلقية في واد مستدير حوله هضاب خضر، وفي وسط المدينة بحيرة دائرية يتوسطها برج مرتفع..

خرجوا من المحطة وضعوه فوق محفة، فإذا به يتحرك حركة خاطفة، ليجد نفسه فوق سطح ذلك البرج المرتفع مع مجموعة من الكهول مع ابنة الكوكب..

-٢-

تلك المدينة العلمية، كانت مركز إدارة الكوكب برمته، بناها العلماء فوق أقرب توابعه إليه.. وظلت تنمو وتكبر حتى أصبحت مصدر البث والاستقبال لمعظم كواكب النجم المشع، الذي يدور حوله ذلك الكوكب الشبيه بالأرض..

قالت له الفتاة:

- تمكنا من الاستفادة من الحيوانات التي تعيش هنا سخرناها لخدمتنا تماماً، حتى أكثرها خطورة.. ذلك الطير الكبير الواسع الجناحين، الخطر المخالب.. أصبح مرناً طيعاً ينفذ أعقد المهام التي توكل إليه..

- يبدو لي شبيهاً بطير يأكل اللحم في كوكبي..

– نسميه هنا (سيدار)، وتعني بلغة كوكبنا ملك الطير..

– حين هبطت كوكبكم رأيت رجلاً يحمل أجهزة، يتعلق بذلك الطير..

هذا الطير، كثير الأهمية في الرصد عن قرب؛ إذ إن مخه الصغير، الذي أدخلنا إليه تطورات عضوية، شديد الحساسية تجاه المؤثرات الخارجية، لقد زودنا بكل شيء عنك، أقصد عن نواياك..

– وكيف؟

– كل الحيوانات تتحسس الخطر، وقد طورنا هذه الحاسة في (سيدار)، فإن كان هناك أي خطر على وشك الحدوث، يبدأ بالزعيق بصوته الغاضب، فتتحرك مؤشرات أجهزتنا الإِلكترونية تبحث عن مركز الخطر..

– كأنه جهاز للإنذار؟

– نعم، أحياناً تطرأ على أجهزة الإنذار أعطال، قد لا تجعلها تقوم بمهامها على الوجه الأكمل.. ولكن مخ (سيدار) لا يعطل أبداً..

– وهل أعداده كثيرة؟

– نعم، أصبح مصدراً هائلاً من مصادر مزارنا الخاصة..

- وبماذا تغذونه؟

- زرق خاصة ابتكرها علماء الحياة..

- حدثيني عن ذلك الجرم المضيء الذي تبدو حوله هالة..

- هو التابع الثالث لكوكبنا.. وهو تابع خاص، جوه سحري، لا يسمح إلا لبعض بزيارته..

- ماذا تعني؟

- نسميه هنا (قمر الحب)..

- قمر الحب؟

- نعم.. يتجه العشاق إليه، يعيشون فوق سطحه، حتى يبدأ عشقهم بالتحول إلى الواقع..

- لم أفهم؟

- أقصد أن العاشقين، حين ينويان الصعود إليه، يجب على كل منهما أن يكون متأكداً من أنه يحب فعلاً قرينه، وإلا فإن الكوكب يصبح لعنة عليه.. لا يرى فيه سوى الأهوال والمتاعب والمناظر المرعبة المخيفة..

- وكيف يتحول العشق إلى واقع؟

– حين يصبح العاشقان مهيئين للحياة المشتركة بلا منغصات، يغادران (قمر الحب) إلى الأم.. ليصبحا عضوين مؤثرين في مجتمع الحياة الفاعلة في الكوكب..

– أزرت قمر الحب؟

– كلا..

– لم تضحكين؟

– لأنها المرة الأولى التي يلقى علي فيها هذا السؤال..

– وماذا عن الحياة هنا؟

– الحياة هنا بلا منغصات، إن كنت عنصراً فاعلاً، تأخذ حقك كاملاً.. وإلا عشت منسياً بلا قيمة..

– مهما حدث، يمكنكم أن تحولوا العنصر الخامل، إلى عنصر فاعل.. هذه هي طبيعة الحياة..

– أعلم ما تقصد، ولكن سأحدثك بشيء..

– نعم..

– قبل آلاف السنين كانت تسيطر على كوكبنا طغمة من المخلوقات الشريرة انفردت بثروات الكوكب واستعبدت أبناءه، وظلّ الغضب ينمو في نفوس السكان حتى انفجر ثورة هائلة دكت قصورهم ومعابدهم..

– أقتلوا جميعاً؟

– كلا، حوصروا، وطلبوا أن يخضعوا لقوانين الثورة، ولكنهم ظلوا، وأبناؤهم منذ ذلك الزمن يحاولون التخريب، حتى استقر رأي الهيئة العليا للمجلس الاستشاري المركزي، بأن تلقي من لا يخضع منهم للقانون في وادي التابع (جعل)، حيث تروضهم مخلوقات التابع من خلال القسوة، ليصبحوا كائنات نافعة، ومن لم يروض منهم، يظل هناك حتى تنتهي قوته ويتلاشى..

– يتلاشى؟

– نعم ما دمت قوياً تعيش أبداً، مادمت تعطي وتعمل، وتحرك حواسك وأعضاءك، فلن تعرف التلاشي..

– أي إنكم تعيشون طويلاً..

– نعم..

– ما متوسط العمر عندكم؟

– قلت لك: إن استمر البدن والعقل يعطيان، دون كلال، فالتلاشي لن يقترب..

– وماذا تقصدين بالتلاشي؟

– الانتشار عبر جزئيات المادة. وتخلي الكائن عن شخصيته واختفاؤها..

– نسميه الموت عندنا ..

ثم أردف متسائلاً:

– وماذا عن مجتمعكم؟ عاداته، تقاليده؟

– مجتمعنا قائم على المحبة وإكمال بعضه بعضاً، كل في مجال عمله ومجال اختصاصه..

– أليست لكم عادات خاصة؟

– ما تقصد بالعادات الخاصة؟

– شيء تتوارثونه عن أجدادكم، تقاليد معينة كانوا يتبعونها ..

– بهذا المعنى، ليست عندنا عادات.. كل مجتمعنا مبني على العمل، والتطور.. قد نبني اليوم بنياناً دائرياً.. أسطوانياً، وغداً قد يصبح المكعب هو الشكل المحبب.. كل شيء يخضع للتطور والتغيير.. حتى القوانين..

– وكيف تتزوجون؟

– كما قلت لك، قمر الحب هو وسيلة بناء الأسرة.. كثيرون لم يروا قمر الحب بعد .. وهم يعيشون في مصانعهم أو خلف أجهزتهم ضمن ظروف خاصة ..دون أسر بالشكل الذي يحاول ذهنك الاستفسار عنه..

– والأسرة بعد قمر الحب، تضم أطفالاً و..

- الحد الأقصى لعدد الأطفال في الأسرة هنا، طفلان، صبي وصبية.. وحين تصل الأسرة إلى هذا الحد يتوقف الإنجاب تلقائياً..

- وتظل على تماسكها حتى النهاية؟

- نعم حتى يكبر الأولاد، حيث ينضمون بعد تخرجهم من المعاهد والمدارس والجامعات إلى ميادين البحث، وينفصلون عن أسرهم..

- وتنعدم الصلة بين الأم وأولادها بعد هذا؟

- لا، أبداً، في كل فترات الاستراحة، يذهب العاملون هنا لزيارة عائلاتهم، ويقضون ساعات هناك..

- ألك أسرة؟

- بالطبع..

- لم تضحكين؟

- كيف أكون موجودة هنا، إن لم تكن هناك أسرة..

- أعرفت أمك وأباك قمر الحب؟

- طبعاً..

- ولم تأخرت حتى الآن في زيارته؟.

- لم يطرق الحب قلبي بعد..

- وإذا أحببت ولم يستجب لك الطرف الآخر؟

- إذن لا أستطيع تكوين أسرة معه، إذ حين أطلب اصطحابه لقمر الحب، سيصاب باللعنات والأهوال المنتشرة في ذلك الجرم..

- إذن لا رحيل إلى قمر الحب إلا لعاشقين؟

- نعم..

- وإن أحببت آخر بعد حبك الأول الفاشل..

- الحب لا يولد مرتين..

- ماذا قلت؟

- في كوكبنا، لا نعرف الحب مرتين، قد يأتي الحب، ولكنه يأتي مرة واحدة فقط..

- أي إِنه من الممكن ألا تستطيعي تكوين أسرة؟

- نعم، هذا محتمل..

بدأ الجهاز الذي على صدرها يئز.. عبثت بأزراره قليلاً.. فإذا بسيدارين يميلان للبياض، يقتربان من البرج.. قالت لك: - سنتجول في التابع معاً..

- بوساطة هذين السيدارين؟

- نعم..

-٣-

انتبه لنفسه فجأة، فإذا به في مقعد صغير، وطير هائل الحجم يطير به، كان المقعد مجهزاً بأجهزته، ومعداته بدأت مؤشراتها تتحرك.. سمع صوتها تخاطبه..

- اضغط على الزر الأخضر، تستطيع عندها تبادل الكلام معي بسهولة..

- حسناً.. ضغط على الزر الأخضر، فانبعث صوتها قريباً.. كأنها إلى جواره:

- ما شعورك وأنت مع السيدار؟

- شعور ممتع فعلاً، أخبريني: أهذه سرعته القصوى؟

- كلا، يستطيع أن يزيد من سرعته إلى ضعف هذه السرعة تقريباً..

- وكيف؟

- حين أطلب منه ذلك؟

- هل يفهم عليك إذا تكلمت معه؟

- لا يفهم الكلام، ولكن هناك رمزاً خاصاً لزيادة السرعة، كلمة قصيرة حين تفوه بها ينطلق..

- ما هي؟

- حينما نحتاج إلى زيادة السرعة سأقولها لك..

- وهل يستطيع الوصول إلى سرعة حركة عن طريق الموجات؟

- كلا.. إذ إنه لا يملك ذهناً متطوراً مرناً..

بدأ يرمق المناظر البديعة حوله.. كأنه يعيش في جو سحري، مصانع ذات هندسة بديعة، وشواخص في كل مكان، وهناك سحب ملونة تنتشر في بعض المناطق..

- لم تتلون السحب عندكم بهذه الألوان؟

- هي ليست سحباً، بل غلالات من الأبخرة، لها أهداف علمية، محددة.. من خلالها يتم ضبط توازن الجو..

- توازن الضغط الجوي؟

- نعم، وتوازن الغازات المفيدة، اللازمة للتنفس..

- ألا تعتمدون على العقول الإلكترونية؟

- ماذا؟

- العقول التي تعتمد على البرمجة الإلكترونية، أقصد آلات تفكر، وتحسب بطريقة سريعة..

- هذه الأجهزة التي تذكرها تنتشر في كل مكان، ولكن استعمالاتها محددة بالحساب ودراسة العوامل المتغيرة مهما كان نوعها ومصدرها، سواء في علم الحياة أم العلوم الأخرى..

- عندنا، نعتمد كثيراً على الأجهزة الإلكترونية..

- نحن نؤمن هنا، بأن الآلة إن سيطرت على كل شيء قلّ تطور الذهن إلى الحد الذي يصل فيه الكائن إلى مرتبة خمول عقلي..

- في هذا القول بعض الإجحاف..

- «نحن نطور حياتنا، معتمدين على القدرة الذهنية الخلاقة.. الحاسوب لا يستطيع أن يخلق الحياة في كائن خامل مهما وصل تطور برمجته.. مجتمعنا متكيف يقوم على التعاون، يكمل بعضه بعضاً.. وما دام البدن والمخ يعملان.. فلا تلاشي يهدد انعدام الحياة»..

- نحن نحلّق فوق بحيرة خضراء أرى أمواجها تتحرك مضطربة بدون نظام..

– هي ليست أمواجاً، وإنما حيوانات أبحاث مدجنة، هذه بحيرة فريدة تضم سلسلة الحيوانات البرمائية جميعها..

– اطلبي من (سيدار) أن ينخفض قليلاً..

– اسحب السلك المعلق فوقك..

– بدأت تلوح له أشكال حيوانات خرافية، تتحرك على الشاطئ، وداخل البحيرة المضطرمة بالحياة..

– ألا تأكل تلك الحيوانات بعضها؟

– كلا..

– وما السبب؟

– هذه حيوانات أبحاث مدجنة ومحصنة ضدّ غريزة العدوان.. ألا ترى ذلك الحيوان الهائل الفم، الذي يسبح بسرعة هائلة إلى شرق البحيرة؟

– نعم..

– هو من أشرس الحيوانات البرمائية وأكثرها غدراً.. ولكنه الآن يبدو وديعاً لطيفاً..

– يبدو شكله مشابهاً لشكل التمساح عندنا ولكنه أكثر ضخامة منه..

- نسميه عندنا (ذا الجوف الواسع) لأنه لا يشبع مهما قدّم له من غذاء..

- وبماذا تغذونه؟

- ببروتين عضوي مصنع..

- ألكل صنف من هذه الحيوانات تغذية خاصة؟

- بالطبع..

- ولكن يبدو لي أن السيطرة على مخاخ هذه الأحياء، بقتل غريزة العدوان، يحدّ كثيراً من إظهار طبائعها الخاصة..

- نعلم ذلك، ولكن تصور لو لم نفعل ما فعلنا، ماذا سيكون مصير هذه البحيرة؟ خلال ساعات قليلة ستنقلب إلى بحيرة من الدم والجثث، بعد ملحمة مرعبة لا يمكن لأي كائن أن يتصور مدى فظاعتها..

- صحيح..

- غريزة العدوان عندنا شبه معدومة، إلا بين تلك الفئات الخاملة التي حدثتك عنها..

- ولم لا تحاولون قتل غريزة العدوان فيهم؟

- خطر لعلمائنا هذا الخاطر ولكنهم أحجموا عن فعله، إذ لا يريدون مهما بلغت رداءة الكائن العاقل من كائناتنا، أن يدخلوه في ميدان التجارب..

- في كوكبنا ظلّ الإنسان يخضع لمثل هذه التجارب حتى فترة متأخرة.. ولم ينقذه منها سوى النظام العلمي الذي فرض منطقه على بقاع الكوكب بعد أن أنهى الاضطراب والفوضى والتجزئة وأجهزة القمع والعدوان..

- ألم تتعب بعد؟

- كلا أحس بنشاط غير عادي أستطيع أن أقوم بأعمال كثيرة لمدة طويلة..

- هذه عندنا من علامات ظهور التعب.. ولكن قبل أن نذهب للاستراحة في إحدى الحدائق.. سنحلق فوق المنطقة الأخرى من المدينة.. (ماشد)..

- نعم؟

- أخاطب السيدار..

ازدادت سرعة السيدار حتى وصلت إلى سرعة طائرة نفاثة أرضية..

- ماذا قلت له؟

- ماشد..

- وما تعني هذه الكلمة؟

- أستحثه على مضاعفة السرعة.. انظر هناك تلك (الفيلات) الصغيرة المحاطة بالحدائق الجميلة، هي بيوت عمال المصانع..

- العمال؟

- نعم، هؤلاء هم محور حياتنا لذلك يعيشون خلال فترات الراحة في أماكن جميلة تساعدهم على استرداد قواهم..

- أيعيشون فيها مع عائلاتهم؟

- من زار منهم قمر الحب مع قرينة له، فإنه حتماً يعيش معها، وبعضهم يعيش وحيداً..

- لم كل هذه العناية بالعمال؟

- قلت لك العمال محور حياتنا.. يقبعون خلف الأجهزة ساعات طويلة مرهقة، وهم متسمرون دون حركة فأقل خطيئة تكلف الكثير..

- أليس بينهم عاملات؟

– بالطبع العاملات والعمال يعملون معاً..

– قد يخلق الحب بسهولة؟

– أحياناً..

– وإذا تحاب اثنان؟

– يرحلان إلى قمر الحب، ويتهيآن لتكوين أسرة..

– أمسموح لهما أن يرحلا هكذا؟

– نعم.. حين يتأكدان فعلاً أن الحب بينهما حقيقة واقعة، فإنهما يستأذنان مدير المصنع، ويقدمان له طلباً بذلك..

– وإن حاول الممانعة؟

– لا يمكن أن يمانع، على العكس فإنه يبارك لهما سعادتهما، ويطلب منهما الرحيل بسرعة..

– نعم. ولم الرحيل بسرعة؟

– لأن الحب ما دام في قواه الأولى، فإن قمر الحب يزيد من سعادتهما مستقبلاً..

– لو أحبت عاملة عاملاً لا يحبها، أيظل هذا الحب حتى بعد أن يتزوج العامل من أخرى؟

- كلا .. حين يحب حبيبها سواها يتحول حبها له إلى احترام فقط..

- ولا يمكن أن تحب ثانية؟

- نعم، هذه طبيعة كائناتنا ..

- هذا ظلم..

- ماذا تقول؟

- كيف نَئِدُ النفس بهذه الطريقة؟

- الحياة ليست علاقة بين اثنين تنتهي بقمر الحب، المجتمع يقوم على العمل والحركة، هناك أشياء كثيرة تسعدنا غير حب جنس لآخر..

- مثلاً؟

- تكليفنا مهامَّ فردية.. لا تتصور مدى سعادتي وأنا معك، وقد كلفت مهمة تعريفك كوكبنا، قبل أن تدخل مختبر الأبحاث الخاصة بالكواكب الأخرى..

- ولم أنت سعيدة؟

- شيء غير عادي عندنا أن تكلف مهمة فردية، أي إنك تحوز على ثقة المجلس الاستشاري، أي إنك كائن فاعل خلاق، قد تزداد فاعليتك لمصلحة المجموع في المستقبل..

- ألا تعرفون الحزن؟

- بالطبع..

- بأية صورة؟ أيمكنك أن تعرّف الحزن؟

- الحزن عندنا يقابل الفشل.. حين تحاول القيام بعمل دون تهيئة خاصة، والغرور ينتابك وتفشل فتصاب بالحزن، لأنك لم تزن قوتك بشكل صحيح..

- ألم تحزني يوماً ..؟

- لم أفشل من قبل..

- أيقتصر تعريفك الحزن، على مقارنته بالفشل؟

- نعم..

- أليس هناك بكاء ودموع.؟

- نادراً جداً أن ترى بكاءً وعيوناً دامعة..

- أي يحدث مثل هذا هنا؟

- نعم.. ولكني لا أعرف الأسباب، ولم أتعمق في دراسة ظاهرة (البكاء والعيون الدامعة)، ولكن المصادر القديمة تقول لنا: إنها ظاهرة نادرة الحدوث..

-٤-

كانا يطيران فوق مروج مثلثة الشكل حمراء، وقربها مروج دائرية باللون نفسه.. وقد بدت خطوطها المحيطة سوداً عميقة.. وهناك أبنية بدت صغيرة من هذا الارتفاع تلمع وتتوهج بنور ذاتي ينبعث من داخلها مع أن ضوء نجمة الكوكب المشعة يغمر كل المناطق.. سألها عن سرّ توهج تلك الأبنية فقالت:

- فيها تجرى تجارب على تحول المادة إلى طاقة ضوئية؟ نحن نجربها حالياً على بعض أنواع الحيوانات.. وقد سيطر علماؤنا على هذا النوع من التجارب، ولكنهم الآن في محاولة مستمرة للسيطرة على الضوء المتحول، وإرجاعه إلى مادته الأصلية..

- أعتقد أن العملية عسيرة..

- ولكننا سنتوصل إلى اكتشافها وتطبيقها .. وحين نصل إلى هذه المرحلة من التطور سيصبح التنقل بين الكواكب سهلاً علينا .. حتى اختراق النجوم الملتهبة ودراستها ..

- لا أستطيع الاقتناع بذلك.. كيف يتحول الكائن العاقل إلى ضوء؟ أي طاقة الفكر؟ أليس المخ هو المغذي الرئيسي لها في تعاريجه وتلافيفه؟ وحين يفقد ذلك يصبح عديم الفائدة..

- لا أستطيع مجادلتك في هذا الأمر حين ستزورها في المستقبل، سيجيبك علماؤنا عن جميع استفساراتك.. إنهم يشكلون مجموعة خاصة لها أبحاثها ومحاولاتها ..

ظلّ السيداران يحومان فوق مناطق متباينة المظهر، وهو يتعرف قليلاً بعض الأوجه الحضارية للكوكب..

- حان الآن وقت استراحتك.. يبدو التعب عليك من خلال حركات السيدار..

- لم أفهم ما علاقة السيدار بتعبي؟

- حين تتعب، يحس السيدار بالملل، فيبدي اضطراباً قليلاً في حركة جناحيه..

- لم ألحظ ذلك..

- عودتنا علاقتنا بهذا النوع من الحيوانات التقاطَ حركاته وتفسيرها مهما كانت صغيرة..

- قلت لي سنستريح في إحدى الحدائق؟ لم حديقة وليس نادياً؟

- ما تقصد بالنادي؟

- مكان للهو والتسلية، والطعام والشراب..

- لا لهو عندنا بالمعنى الحرفي للكلمة..

- ما تعريف اللهو في رأيك بالمعنى الحرفي للكلمة؟

- تمضية أوقات بلا فائدة ولا مسوِّغ، الزمن ثمين جيداً.. لم نضيعه بلا فائدة؟

- وكيف تضيعون إذن وقتكم خارج العمل؟

- في التسلية بحلّ مسائل مفيدة، كأن نحسب مثلاً مساحات الحدائق وأعداد أشجارها ونوعية هذه الأشجار.. سرعة الضوء في مجال مضطرب.. علاقة مواد معينة بعضها ببعض، استخلاص نتائج توضع كلها في الكتب ويستفاد منها مستقبلاً.. مسائل رياضية كثيرة أوجدنا لها حلولاً أفادتنا في تطوير الكثير من صناعاتنا ووسائل إنتاجنا التقني..

حطّ السيداران في حديقة جميلة مليئة بالزهر المتنوع الألوان.. والأشجار المرتبة بطريقة هندسية بديعة، وقد انتشرت فيها مقاعد مظللة محاطة بالورد.. مشت قربه ببطء كانت قامتها أقصر من قامته، وقد بدا جسمها جميلاً متناسقاً.. كانت هي المرة الأولى التي يراها تسير وتتخلى عن الحركة الفجائية في انتقالها.. اتخذا لهما مكانين متجاورين على أحد المقاعد المريحة.. سألها:

- ألا يستعمل العشاق هذه الحديقة أحياناً؟

- نعم في فترات متباعدة..

- لم متباعدة؟

– لأنه حين يتأكدان من حب كل منهما للآخر، يذهبان إلى قمر الحب..

– أتعلمين؟

– نعم..

– أنا متشوق لرؤية قمر الحب هذا..

– ولكنك لا تستطيع رؤيته إلا حين تحب امرأة تحبك..

– قلبي يحدثني أنني سأزوره..

– وفي كوكبنا لغة القلب لا تخطئ، يعني هذا أنك ستزوره، ولكن يجب أن تكون عاشقاً، وكيف وأنت لم تقابل امرأة بعد؟

– ألست امرأة؟

– ما تعني؟

– أنت امرأة جميلة، وأنت أوّل أنثى من هذا الكوكب أتعرفها.. قد أصبح عاشقاً من يدري؟

– احذر العبث، أنت تعلم كم يصبح قمر الحب مرعباً حين يحط على سطحه عاشق كذاب..

- ولكنك قلت لي لغة القلب لا تخطئ هنا؟

- نعم..

- ربما بدأ قلبي يتلمس طريقه للحب..

- في برنامجك اليوم زيارة لمحطات القدرة السمعية في المدينة العلمية المركزية، ولكن يجب عليك قبل ذلك أن تتناول غذاءك..

- أحمل كثيراً من الأقراص المغذية.. سأتناول بعضاً منها ..

- جرّب جرعات شرابنا المغذي..

- قد يؤدي طبيعتي البشرية.؟

- طبيعة تكويننا مقاربة بشكل كبير لتكوينكم البشري.. لا تخف لن يؤذيك هذا الشراب، فمركز البحث أعطانا هذه النتيجة..

- كيف، ولم أزر مركز البحث هذا؟

- وضعنا تقريراً مفصلاً عن تكوينك العضوي وتغذيتك، عمل أعضاء بدنك، تفكيرك، تصوراتك، مكتسباتك العلمية..

- ولكن كيف؟

- بمساعدة محطاتنا المنتشرة عبر الكوكب وتوابعه..

– أهي محطات متحركة؟

– يمكنك أن تقول ذلك..

– لم أفهم..

– عملها كأنها محطات متحركة، لأن قدرات أمواجها تمكنها من الوصول إلى ملايين الكيلومترات..

– وكيف تعمل هذه المحطات؟ أبقدرات نووية أم..؟

– استنبطنا هنا وسيلة متطورة من وسائل الطاقة، تعتمد الضوء الصادر من أي مكان في الكون وتستفيد منه مهما كان ضعيفاً..

– كيف؟

– بتحويله إلى طاقة مادية ذات إمكانات هائلة..

– هكذا؟

– الجهد الجماعي وسيلة كسب عقلية فائقة..

– صحيح.. ولكنك لم توضحي لي كيف تمت دراستي بوساطة المحطات التي ذكرتها؟

– هناك محطات..

– هناك محطات للقدرة البصرية، وأخرى للقدرة السمعية، وثالثة للقدرة الذهنية، ورابعة لقدرة التفاعلات الذاتية.. المحطة السمعية تلتقط الأصوات مهما كانت صغيرة وتحللها وتتعرف مكونات وطبيعة

الشخص الصادرة عنه، وبالقدرة البصرية نتغلغل إلى الذرات الدقيقة ونتعرف نوعية عمل هذه الذرات.. أما القدرة الذهنية، فبوساطتها نلتقط الفكر بكل مكاسبه التاريخية والعلمية والأدبية..

- قلت الأدبية؟

- نعم.. للأدب مكان متميز في مجتمعنا، ولكنه يختلف عن أدبكم، إذ إنه أدب فاعل يغني الحياة والإبداع، وهو موجه لإثراء العمل الخلاق وتطويره..

- وماذا عن قدرة التفاعلات الذاتية؟

- لكل كائن طبيعة خاصة، حتى السيدار الذي تعرفته، له طبيعة خاصة، من خلال دراسة تكويناتها العضوية والفيزيولوجية.. واستعدادها العقلي، يمكنك أن تتعرف الكائن تماماً، إضافة إلى دراسة القدرات السابقة..

-٥-

سحب من جعبته بعض الأقراص أوقفته قبل أن يتناولها :

- انتظر قليلاً..

برز فجأة شخص قربهما يحمل زجاجة من سائل خاص..

- تناول من شرابنا المغذي..

مدّ يده يتناول الزجاجة ويجرع ما فيها دفعة واحدة..

– هذه أوّل مرة أتناول فيها طعاماً مختلفاً عن طعام أهل كوكبي..

– أيتناول كل سكان كوكبكم مثل هذه الأقراص..

– أحياناً..

– ماذا تقصد؟

– إذا كانوا مشغولين كثيراً بأعمالهم اليومية في المصانع أو المزارع أو مراكز البحث لا يملكون الوقت الكافي لتناول الغذاء العادي، يستعملون عندها الأقراص المغذية..

– وما الغذاء العادي الذي تقصده؟

– أنواع من الطبخ تختص بها ربات البيوت، أو (ورشات) المطاعم..

– ربات البيوت؟

– المرأة عندنا حين لا تعمل، تظل في البيت تستقبل زوجها عند عودته من العمل، تربي أولادها تؤمن لهم ما يحتاجون، تنظف البيت تغسل، تقرأ تستقبل الزوار..

– وكيف لا تعمل المرأة؟

– بعض الناس لا يحب أن تعمل المرأة لتظل محافظة على أنوثتها ورشاقتها، لتظل دوماً غطاء دافئاً لزوجها..

– أهذا هو مجتمع الأرض حالياً؟

- تقريباً .. صحيح بدأت الثورة العلمية تكتسح كل مكان في كوكبنا، ولكن بعض المجتمعات ظلّت على حالها تستعصي على الثورة..

- ولا يتلاشون؟

- نحن نختلف بتركيبنا الفيزيولوجي عنكم..

- مهما اختلفتم فالفكر والذكاء لهما سمة واحدة في الكون..

- صحيح..

- لماذا إذن؟ لم تدخلوا تلك الأماكن المستعصية وتنظفوها ..

- الزمن كفيل بتنظيفها .. فحين تزداد الثورة العلمية قوة، تتضاءل بالتدريج مساحات تلك الأماكن ومراكزها المضادة حتى تتلاشى..

- ذكرتني بالمخلوقات الشريرة التي كانت تستعيد أهل كوكبنا ..

- ماذا عنها؟

- كانت تعامل المرأة كتلك المجتمعات عندكم، فقط للمتعة، حتى إن بعضهم كان يبيعها كأي سلعة.. المرأة في قوانيننا لها حقوق كاملة، ولا فرق بينها وبين الرجل فهي تقود محطات الفضاء، تترأس مراكز البحث والمجلس الاستشاري.. حتى في تكوين الأسرة لها مركز الرجال نفسه تماماً ..

- أيمكن أن تبوح المرأة بالحب للرجل هنا؟

- إن وجدت منه ميلاً إليها قد تبادر بالبوح..

- وإن أحب الرجل امرأة لا تحبه؟

- أصبح مصيره كمصير المرأة التي تحب رجلاً لا يحبها ..

- والحب يولد مرة واحدة عند الرجل في كوكبكم..

- نعم.. لا اختلاف بين الرجل والمرأة عندنا ..

- ومن ينجب الأولاد هنا؟

- وجد بالتجربة أن طريقة الحواضن الصناعية لها آثار سيئة على النسل، لذلك ألغيت هذه الطريقة منذ زمن بعيد .. لذا فالمرأة هي التي تنجب الأولاد .. قلت لك من قبل، ولد وبنت فقط..

- مدة حمل المرأة هنا تسعة أشهر؟

- نعم، وأحياناً أكثر..

- لم أر امرأة حاملاً هنا ..

- لا يمكن أن تميز حاملاً من غير الحامل..

- كيف؟

– لهما الجسم نفسه، وتقومان بالأعمال نفسها مهما كانت مجهدة، حوّل العلماء فترة الحمل إلى فترة سعيدة للمرأة، لا إحساس فيها بالألم أو التعب..

– والولادة؟

– تتم بشكل طبيعي، قد يزيد عمر الجنين على تسعة أشهر أحياناً، ولا يخرج الجنين إلى النور إلا بعد أن يكتمل نموه.. عندها تحس المرأة الحامل، بنبضاته المتحركة.. وخلال دقائق تتم الولادة بسهولة ودون ألم.. يتمدد القسم السفلي من الجسم ويتسع ليخرج الجنين بلا متاعب.. تعتني به ممرضة خاصة حتى يتكيف مع الجو..

– أعتقد أن عدد سكان الكوكب أصبح كبيراً جداً..

– كيف؟

– ما دام هناك ولادات وليس هناك تلاش، كما تسمون الموت هنا..

– ليس الأمر كما تقول، إذ إن قمر الحب ليس لكل سكان الكوكب.. قليل منهم يذهب إليه وينجح في تكوين أسرة، وكثيرون أحبوا من طرف واحد دون نتيجة، كما أن بعض السكان المتقدمين في العمر تماماً، يحسون بالحاجة للتلاشي، إذ إن طاقاتهم للعمل قد استنفدت..

– ولكن قولي لي: ما دام الكائن يعمل ويتحرك ألا يتلاشى؟

– نعم.. يمكنهم أن يظلوا أحياء إن أرادوا ولكن أحياناً يصيبهم ما يسمى عندنا بالرغبة بالانفلات..

– ماذا تقصدين؟

– يحس بعضهم – من المتقدمين في السن– أنه محجوز في مكان بعيد، مقيد، قد ينتصر على هذا الإحساس بالعمل المتواصل ومضاعفة الجهد، وقد ينتصر هذا الإحساس عليه.. فيتوقف عن العمل لفترة وجيزة حيث يتلاشى، ونقول عندها عنهم: إن قواهم استنفدت..

– وحين يتلاشى الكائن هنا، تفقدونه نهائياً؟

– ليس كل الأحيان.. في بعض الأوقات كنا نحس بقوى حولنا توجه أعمالنا، وقد لجأنا للمحطات لمعرفة سرها.. فعلمنا أنها متلاشية ظلّت محتفظة بقوتها الذهنية، بعدما تلاشى بدنها..

– حديثك ممتع فعلاً..

– أحببت كوكبنا؟

– نعم، تمتلكون مجتمعاً رائعاً..

– هذا إذا قورن بمجتمعاتكم الأرضية، لدينا طموحات كبيرة بشأن تطوير مجتمعنا، ولا نزال نعمل أقل بكثير مما نطمح..

- وإلى أين سنتجه بعد استراحتنا هنا؟

- أمللت..؟

- كلا، أنا متشوق لتعرف زوايا أخرى من كوكبكم..

- أتعلم لم يتركز معظم نشاطنا العلمي فوق هذا التابع بالذات، وليس فوق الكوكب الضخم؟

- لا.. سألت نفسي هذا السؤال، وكنت سألقيه عليك..

- لأن هذا التابع أكثر استقراراً من كوكبنا الذي يمر بمرحلة مضطربة قد تستمر مئات السنين حتى تستقر...

- أليس لكم نشاط فوق الكوكب الضخم نفسه؟

- نعم.. بلا شك، مجتمعنا الأصلي يتكون فوقه، ويتطور، محطتان من محطاتنا ذات القدرة المضاعفة هناك.. ويشيد العلماء فوقه حالياً أضخم محطة قدرة عرفها تاريخ الكوكب..

- ولم تختص تلك المحطة؟

- بتطوير الجهد الحي، والتغلب على معوقات إبداعه..

- حدثيني عن قمر الحب..

– ولم تركز على هذا القمر بالذات؟

– لا أدري أحس بميل عجيب لزيارته..

– حين تعرف الحب ستزوره بصحبة من تحبك أيضاً..

– أخمن أن الحب بدأ طريقه إلى قلبي..

– سنعود بعد فترة إلى الكوكب الضخم، يجب أن تنهي زيارة بعض الأماكن هناك، في برنامج زيارتك التي أعدها المجلس الاستشاري رحلات كثيرة هنا على هذا التابع..

– ألم يضعوا قمر الحب في برنامج زيارتي لكم؟

– ماذا تقول؟ لا يستطيعون فعل هذا..

– لم؟ قد أختلف بتكويني البشري عنكم، وحين أتجه إليه وحدي قد أنجح في الهبوط على سطحه..

– لم تتبع هذه الاحتمالات؟

– أليست معقولة؟

– أبداً.. هي أول مرة يطلب فيها كائن زيارة قمر الحب بمفرده.. كيف تزور قمر الحب دون حبيب؟

- زيارة علمية..

- لا دخل للعلم هنا ..

- إذن؟

- اترك تفكيرك هذا جانباً ..

- أتستطيعين مساعدتي؟

- بماذا؟

- أريد أن أزور قمر الحب.؟

- لا يمكن أن تزوره وحدك..

- إذن لنذهب معاً ..

- ماذا؟

- أنا وأنت..

- قد أكون أحس بميل نحوك، ميل خاص لا أستطيع فهمه، ولكني لن أجازف بمساعدتك..

- شعوري نحوك ليس كاذباً .. أنا متيقن أنني بدأت أحبك..

– أنا أوّل امرأة تتعرفها هنا، حين ترى غيري قد تغير هذه النظرة..

– ماذا تقولين؟

– ربما تحس بحاجة إلى امرأة وقد فارقت كوكبك لأشهر طويلة، لذلك نما عندك هذا الشعور نحوي؟ أقصد قد يكون شعوراً كاذباً.؟

– ألم تقولي قبل قليل لغة القلب لا تخطئ.؟

– أمتأكد أنها لغة قلبك.؟

– نعم..

– وماذا عني؟ ألست طرفاً مهماً.؟

– طبعاً.. ولكن ألم يتولد عندك أي ميل نحوي؟

– اسمع يا صديقي، في كوكبنا لا نعرف الحب مرتين، لذلك نحن حذرون جداً في هذه المسألة، فمستقبل كامل يتوقف عليها...

الفصل الثانـــي

«محطـات القـــدرة»

-١-

بدأ يتعود جو الكوكب.. كانت رفيقته في جولاته بشكلها اللطيف وذكائها ولباقتها قد حببت إليه هذا الجو الذي بدا له في البداية صورة مثالية تحولت بالتدريج إلى صورة واقعية..

وهما يتنقلان فوق تابع الكوكب بواسطة السيدارين قالت له:

- سنزور الآن محطة القدرة السمعية أترى ذلك البناء المخروطي الرمادي؟

- نعم..

- هو المغذي الرئيسي للمحطة..

إلى القرب من ذلك البناء المخروطي امتدت عدة أبنية مكعبة الشكل وسط حدائق بديعة من الأشجار القصيرة والنباتات المزهرة..

حوم السيداران فوق فسحة عشبية واسعة قبل أن يحطا فوقها، وجد نفسه فجأة معها يسيران جنباً إلى جنب..

– القسم الذي ندخله الآن يختص بالتقاط الأصوات وتحليلها، وفك رموزها..

– وأين العمال؟ لا أرى أحداً..؟

– لا حاجة إلى العمال هنا.. فقط عامل شبكة الاستقبال هو المحرك الرئيسي، والأجهزة الحاسبة تساعده، ضمن برمجة خاصة..

دخلا غرفة الطنين، وصلت إلى سمعه أصوات مختلطة مزعجة بدأت أذناه تؤلمانه.. همس إليها بذلك، أعطته جهازاً وضعه في أذنيه أحس عندها بالأصوات تنتظم، ميز منها أصواتاً بلغة يفهمها من لغة أهل كوكبه..

– إن حركت مؤشر الجهاز تستطيع الاستماع إلى أي صوت تريد من هذه الأصوات..

– ومن أين مصدرها؟

– من الفضاء الخارجي..

ضبط الجهاز جيداً على صوت اللغة الذي استطاع التقاطه، كانت إشارات بلغة مفهومة تبث إلى محطات الاستقبال في الفضاء الخارجي من الأرض، تمكن من التقاط الصوت الخاص بمحطة البث الأرضي التابعة لقاعدته..

سألها: - أأستطيع بث صوتي من هنا؟

- بالطبع، حرّك ذراع هذا الجهاز، وقربها من فمك..

رأى أن الذراع تنتهي بكتلة كروية خمن أنها (ميكروفون).

- (زيتا) تنادي العقاب الأزرق..

- نعم..

- منذ زمن بعيد ونحن نحاول الاتصال بك، والعقل الإلكتروني في المحطة يعطينا الجواب نفسه: خرج مع مخلوقات عاقلة..

- نعم.. أنا فعلاً بين مخلوقات عاقلة غير مؤذية.. متطورة كثيراً..

- أمهمتك تسير بنجاح؟

- أتعرف الكوكب، والجهاز الآلي معي يسجل كل شيء..

- حسناً استمر، وكن دوماً على اتصال بنا..

اختفى الصوت، مع نغمة (بيب) مرافقة..

سألته:

- خمنت أنَّ بصحبتك جهاز اتصال آليَّاً تحادثهم من خلاله بشكل دائم..

– معي مثل هذا الجهاز، ولكنه ثقيل نسبياً، تركته في المحطة..

– لم لم تقل لي.؟

– ماذا كنت تفعلين؟ كنت ستحملينه عني؟

– كلا.. كنت طبقت عليه قانون تخفيف الثقل هنا..

– كيف..؟

– بإخضاعه لقوة نابذة أعرف معادلتها، وكيفية السيطرة عليها فيخف وزنه..

– لم أعرف ذلك..

– لم تستعملون أجهزة ثقيلة؟

– «هذا الجهاز بدا لي ثقيلاً هنا، ربما على هذا التابع سيكون خفيف الوزن لأن حجم تابعكم بحجم قمرنا الذي يدور حول الأرض»..

– معادلة تخفيف الوزن لا علاقة لها بحجم الجرم السماوي..

– ربما، ولكني لم أضع في حسباني أنكم على هذه الدرجة من التطور.. كنت خائفاً في البداية..

– من ماذا؟

- حين حطت رجلي فوق الكوكب، كانت كل الأجهزة المساعدة لي تزيد الأمر غموضاً..

- أي أمر؟

- الوضع على كوكبكم.. الحياة هنا، نوعها، غريزة العدوان، كان كل ذلك يحتم علي أن أكون حذراً دوماً..

- هذا طبيعي.. ولكني أعتقد أن تخلف أذهانكم، ناتج عن استخدامكم دوماً للأجهزة المساعدة، كما قلت لك تطوير الذهن وقدرته الخلاقة، يجب أن يتم ذاتياً دون الاعتماد على الأجهزة الإلكترونية..

- معك حق كما أرى..

وصلت إلى سمعه موسيقا عذبة حنون، ركز المؤشر عليها.. طالعته على اللوحة المقابلة ذات الشاشة الإلكترونية، خطوط منحنيات جيبية منتظمة متواترة تنخفض طوراً وترتفع بشكل منظم..

- أتميزين مثلي هذه الموسيقا العذبة؟

- نعم..

- وكيف، وأنت لا تستعملين الجهاز الخاص بذلك؟

- عَوَّدْتُ أُذنيَّ على تمييز الأصوات مهما كانت مختلطة..

- كلكم تميزون اختلاط الأصوات؟

- الغالبية العظمى..

- وما هذه الموسيقا؟

- أتسمعها جيداً؟ إنها تصدر عن قمر الحب..

- قمر الحب؟

- نعم، جوه عجيب، سحري ممتع..

- وكيف عرفت أنها من هناك؟

- لأنني أسمعها دوماً حين آتي إلى هنا..

- أتشتاقين لزيارته؟

- حتماً، كل منا في شوق لزيارته حتى من زاره..

- ازداد شغفاً بهذا القمر..

- قد تزوره في المستقبل، لا أحد يدري..

- قد نزوره معاً..

– انظر إلى هذا المكعب المتحرك فوق المحور هناك إلى الأعلى..

– نعم..

– هو مركز الطاقة الذي يمون أجهزة استقبال الأصوات هنا ..

– كيف؟

– في داخله تتأين الجزيئات، وتكون حقولاً كهرطيسية بالغة الدقة ذات طاقات عالية، في هذا المحور تسير التيارات المتعاكسة المنبعثة من كرة مكثفة بفراغات ذرية شبه معدومة، تغذي الأجهزة بالطاقة الموجية المضاعفة..

– إلى أي وقت يستمر عمل هذه الكرة، أقصد المكعب الدائر الذي يحتويها؟

– لفترة طويلة جداً، وحين تبدأ الكرة الداخلية بالاضمحلال، يجذب المكعب بشكل آلي ذرات أخرى ليكوّن كرة أخرى تحل محل الكرة المضمحلة، ونحن لا نلحظ ذلك لأنه يتم بسرعة خارقة..

– قلت لي من قبل: إن هذه المحطة عدا عن أنها تلتقط الأصوات وتحللها، تستطيع تعرف نوعية الشخص الذي يبثها؟

– نعم، حين يصل إلينا أي صوت صادر عن كائن ما في هذا الكون، فإننا بعد تحليل هذا الصوت نستطيع تعرف صاحبه،

من حيث تزييفه للرسالة التي يبثها للخداع مثلاً أو إنه صادق.. من اهتزازات الأمواج الصوتية نستطيع كشف الأصوات الخادعة المزيفة..

– أهناك مثل هذه الأصوات في الكون؟

– نعم.. بعض ساكني الكواكب البعيدة، لم تختف منهم غريزة العدوان بعد.. يستعملون رسائلهم الصوتية المستمرة لجذب كائنات أخرى إليهم، وتعرف قوتها، واستخدمها أحياناً.. منذ فترة ليست بعيدة، حدث لكائنات من كوكبنا أن التقطت رسالة كان الذي يبثها كاذباً في دعوته لنجدته من ورطته، وحين وصلت بعثتنا إلى الكوكب حاولت كائناته السيطرة على رواد محطتنا، لولا أن استخدمنا محطتنا الذهنية في شل عمل قواهم البدنية..

– كيف؟

– ادعى صاحب الصوت في البداية، أن الكوكب يخضع لكارثة، وأنه سيدمر بسكانه من جراء اضطرابات داخلية يوقعها به علماؤه.. وعلى الرغم من تطور محطتنا السمعية لم نستطع كشف الاضطرابات الداخلية في جوف الكوكب المذكور، ولكننا بحسن نية، افترضنا أن سكانه أكثر معرفة بعوامله الجوفية منا، وأكثر سرعة في كشفها.. لذلك أرسلنا بعثتنا للمساهمة معهم في حل المشكلة والسعي لإنقاذهم، حتى لو اضطرنا الأمر فيما بعد إلى إرسال

سفن كثيرة مجهزة بمراكز البحث، ولكن حين وصل أفراد البعثة إلى هناك، التفت حولهم سفن كثيرة، وخلقت حولهم مجالاً تحريضياً، شلّ عمل محركهم، وطلبت إليهم كائنات ذلك الكوكب الخضوع لها والهبوط..

- وهبطوا؟

- نعم، وكنا بوساطة محطات القدرة نتتبع ما يجري هناك، راعنا ما حدث في البداية، وازددنا رعباً حين لحظنا الأمواج التي حاولوا بها السيطرة على أذهان أفراد بعثتنا..

- ما نوعية هذه الأمواج؟

- لا أعرف بالتفصيل، ولكن أعرف أنها أمواج تسحق القدرة الذاتية في الفرد، وتسيره كآلة مستغلة طاقته الذهنية ضمن اتجاهات منمية لغريزة العدوان..

- أوقع أفراد البعثة فعلاً تحت سيطرة هذه الأمواج؟

- نعم، تلاشى بعضهم رافضاً الأمواج، وبعض آخر لم يتمكن من التحرر منها، فسقط تحت سيطرتها..

- وكيف تمّ إنقاذه؟

– وجهت المحطة الذهنية أمواجها الخارقة السرعة، حيث أوقفت أمواجها، وأنقذت ما تبقى من أفراد البعثة، ونجحنا بإعادتهم إلينا، إذْ أخضعهم علماؤنا لمعالجة طويلة حتى نشطت أذهانهم في الاتجاه الخلاق من جديد..

– وماذا حدث لسكان الكوكب؟

– بعد أن أنقذنا ما تبقى من أفراد بعثتنا، أوقفنا عمل الأمواج الخارقة السرعة التي تبثها المحطات الذهنية..

– لماذا؟

– لأنها إن استمرت تستهلك الكثير من الطاقة دون فائدة..

– كيف دون فائدة؟ قد تحررون أهالي ذلك الكوكب من غريزة العدوان؟

– لا.. هذا لن يحدث، لأن لهم طبائعهم الخاصة، وتكوينهم المختلف عن طبيعتنا وتكويننا، يكفي أننا تجنبنا خطرهم علينا..

– ألم تنبهوا سكان بقية الكواكب المجاورة لكم؟

– حتماً تمّ هذا..

دخلا قسماً آخر من أقسام محطة القدرة السمعية.. كان العمال والعاملات ينتشرون خلف الأجهزة يسجلون، يحركون عجلات خاصة بأرجلهم، استغرب ذلك فسألها :

- لماذا هذه الحركة؟ أهي ضرورية لعمل الأجهزة؟

- كلا، وإنما تتماشى مع حركة الذهن.. حتى لا يظل البدن مسترخياً بلا حركة بعد الجلوس الطويل خلف الآلات..

- لم يعمل الجميع في حين أن تلك العاملة والعامل لا يعملان؟ أهما في فترة استراحة.؟

- كلا، هو الحب بدأ بينهما..

- الآن..؟

- منذ فترة على ما أعتقد..

- وهما حران بالخروج من عملهما؟

- نعم، هذا حدث غير عادي..

- قد يكون هذا تنصلاً من العمل..؟

- ماذا تقول؟ أتحسب نفسك في كوكبك؟ لا كذب هنا، ولا تهرب من المسؤولية، الجميع هنا مستعدون لمباركة هذين الحبيبين، وكل منهما يرجو أن يثمر حبهما..

- يعني؟

– أن يذهبا بعد فترة إلى قمر الحب، ليكونا أسرة بعد ذلك.. هذا شيء ضروري هنا..

– ربما تحبه هي، وهو لا يحبها، أو العكس؟

– ما كان هناك حاجة إلى ترك العمل، يمكن لها أن تسأله وتلتقي معه في فترة الاستراحة فقط، أما الآن فالوضع يختلف، كل منهما يحب الآخر..

– هي جميلة جداً..

– في كوكبنا نساء جميلات جداً..

– «ولكنك أجمل منهن»..

– «لا تحاول اللجوء إلى هذه الطريقة معي، أعرف نفسي»..

– ولكنك فعلاً جميلة..

– سواء أكنت جميلة أم قبيحة، ليس الجمال وحده هو الذي يكوّن الأسرة..

– أيمكن أن يحب الرجل هنا امرأة قبيحة؟

– لا قبح بالمعنى الحرفي للكلمة، هناك امرأة جميلة، وأخرى أكثر جمالاً أو أقل جمالاً، قد تتمتع الأقل جمالاً بصفات ذهنية متطورة، فينجذب إليها الرجل..

- لم إذن قلت لي هناك كثيرات أجمل مني، وحين تراهن قد تفضلهن عليّ؟

- لأنه في كوكبكم كما دلت تقاريرنا، تفضلون المرأة الجميلة المتوسطة الذكاء، على المرأة الذكية المتوسطة الجمال..

- تقارير مبالغ بها..

- لا أظن أن محطاتنا ومراكز بحوثنا تبالغ بتقاريرها..

- ما لهما يتحادثان فقط؟

- يتحدثان فقط هنا، وأمام الجميع لا يمكنهما أن يزيدا على ذلك..

- وما المانع أن يقبل أحدهما الآخر؟

- لا مانع، ولكن هذا ليس مكاناً لممارسة العشق..

- وأين يمارسان عشقهما إذن؟

- في الحدائق العامة في أماكن الراحة، فقط لمسات سطحية، تزيد من لغة التقارب ليس إلا..

- والباقي؟

– في قمر الحب يحلو كل شيء للعشاق..

– ومتى تعتقدين أنهما سيزوران قمر الحب؟

– لا أدري، ولكني أعتقد أن وقتهما ليس بعيداً..

– أيمكن أن أتحادث مهما؟

– ليس الآن، في فترات الاستراحة، يمكنك تبادل الحديث مع من تريد..

تجلّى كثيراً في المحطة، اطلع على تجربة غنية بالعلم لم يحلم بمشاهدتها في حياته، كانت أوّل مرة يهبط فيها على كوكب مسكون بكائنات عاقلة، وكان سعيد الحظ بهذا المكسب الذي حققه..

-٢-

كان السيداران يطيران فوق مساحات واسعة مغطاة بالشجر الكثيف، بعد أن فارقا المحطة السمعية، سألها:

– أهي غابات؟

– هي أشجار صنعية، لها مهام علمية، لتحسين جو الجِرْمِ وتحليل المزيد من الأكسجين اللازم للحياة هنا..

– وأين نتجه الآن؟

- لزيارة محطة أخرى من محطات القدرة، قبل أن نغادر هذا التابع عائدين إلى الكوكب الأصلي..

- أية محطة تقصدين؟

- محطة القدرة البصرية.. أترى ذلك الجبل العالي المرتفع بشموخ بين سحب وردية؟

- نعم..

- هو المركز الرئيسي للمحطة..

- وما مهمة هذه المحطة؟

- التغلغل في الجوهر، وتعرف خفايا الكون، تستطيع أن ترى المدار الذي يرسمه الإلكترون حول النواة كما تستطيع أن ترى كيف يتحرك الإلكترون أو الذرة بكل أجزائها؟..

- أتستطيعون مراقبة شخص ما في الكوكب الأصلي من هنا؟

- طبعاً.. نستطيع مراقبة شخص من كوكب بعيد عنا.. المحطة تتمتع بقدرة النفاذ داخل السحب والأغلفة الجوية، والتغلغل إلى مسافات شاسعة..

- وما يفيدكم ذلك؟

– مراكز البحث تستفيد من ذلك أحياناً .. حين نتجه بأنظارنا إلى كوكب لم نعرفه من قبل، تتغلغل المحطة البصرية بين طيات غيومه أو غلافه، وتساعدها بقية المحطات بشكل كلي على تعرف طبيعة الحياة فوقه إن كان مسكوناً .. أو تعرف تكوينه ودراسته إن كان غير مسكون..

– اقتربا من المركز الرئيسي للمحطة، حوّم السيداران قليلاً قبل أن يهبطا فوق أحد المحاور الرئيسية الممتدة في مركز المحطة.. سألها :

– وماذا فائدة هذه المحاور؟

– تكثيف الأمواج التي تطلقها المحطة البصرية، حتى يسهل عليها بمناظيرها المقربة، اختراق مسافات شاسعة..

– أكلها تعمل سوياً؟

– طبعاً لا .. لكل منها مسافته المحددة وطاقته الموجية الخاصة..

هبطا قليلاً ليميزا برجاً دائرياً صغيراً في منتصفه قمرة مكعبة الشكل سوداء اللون..

– أين سيهبط بنا السيداران؟

– حسناً سنبدأ بزيارة هذا البرج..

وجد نفسه فجأة قرب الغرفة السوداء المكعبة الشكل..

- لم اختبر هذا اللون..؟

- داخل هذه الغرفة يجلس المراقب، وحتى تظل كثافة رؤيته تامة ولكيلا يتسلل أي ضوء ذري صغير، طليت الغرفة باللون الأسود المصنع من معجون خاص لا يسمح بتسلل الضوء مهما كانت طاقته إلى داخل الغرفة..

- وماذا يفعل المراقب؟

- حين يطلب إليه تسليط منظاره على هدف ما، وتقدم إليه جملة المعادلات الرياضية اللازمة فإنه يطبق هذه المعادلات بشكل تام، ويصبح الهدف بين يديه..

- أهو موجود الآن؟.

- قد يكون موجوداً في غرفة الاستراحة، لأنه لا أحد داخل القمرة..

- أليس هناك وقت محدد لعمله؟

- طبعاً.. حين يطلب منه دراسة هدف معين بصرياً، فإن هذا يستهلك منه جهداً مضنياً، لذلك يطلب إليه الاستراحة فوراً..

- وكيف يستريح؟ أينام مثلاً؟

- ينشغل بقضايا بسيطة كما قلت لك..

- ألا ينام؟

- النوم عندنا بالصفة التي تتصورها، غير موجود، نحن ننام وعيوننا مفتوحة، نريح الذهن قليلاً لفترة زمنية محددة..

- ألا تحتاج عيونكم أيضاً إلى راحة؟

- العيون ترتبط بالمخ، وحين يكون المخ في راحة، فالعيون أيضاً في راحة..

- ماذا تقولين؟ عندنا قد يغمض المرء عينيه ويظل ذهنه منشغلاً بقضية ما، ومع ذلك فعيناه تأخذان قسطاً من الراحة..

- حلّ علماؤنا هذه المشكلة بعقارات من نوع خاص تغذي العصب البصري والقزحية والسائل العيني باستمرار..

- وما مدى الرؤية عندكم؟

- أستطيع أن أميز ما فوق المحور المخروطي هناك..

نظر نحو الجهة التي تنظر إليها، فطالعه شكل مخروطي، يحتاج إلى منظار مقرب قوي ليميزه ويحدد مواصفاته أو تكوينه..

- أرى المخروط ولا أميز شيئاً من تفاصيله..

- أتحب أن ترى الغرفة المكعبة..؟

- حتماً.. ولكن إن أردت أن أرى شيئاً، أأحتاج إلى معادلات من مركز البحث خاصة لأطبقها في رؤيته؟

- لا حاجة إلى هذه المعادلات ضمن حدود مجرتنا، نحن نحفظ كل ما له علاقة بمجرتنا.. أما المجرات الأخرى فتحتاج إلى معادلات مركز البحث..

- أأستطيع أن أرى كوكب الأرض مثلاً؟

- طبعاً، هو أمر بسيط لا يحتاج إلى جهد خارق..

دخلا الغرفة المكعبة الشكل في حين أغلق الباب وراءهما آلياً..

- قد يعود المراقب في أية لحظة؟

- نحن لم ندخل إلى قمرته خلسة، أو عنوة..

- ماذا تقصدين؟

- هو يعلم أننا هنا، حين حطّ بنا السيداران..

- قد يطلبه مركز البحث في مهمة جديدة؟

- لدينا عدة محاور، قد يقوم بعضها بهذه المهمة..

- ولكن قلت لكل منها كثافة موجية خاصة..

– نعم.. وهذا لا يمنع من استخدامها.. المحور الذي نحن فيه، هو أحد المحاور المتوسطة الكثافة..

ميّز تفاصيل الغرفة بعد أن اعتادت عيناه الظلمة التي تعم المكان، وليس إلا نور ضئيل ينبعث من شاشة ضخمة تشغل جدار الغرفة التي يقارب طول ضلعها ثلاثة أمتار.. وأمام الشاشة مقعد مريح خاص، تنتشر عليه الأزرار والأجهزة الصغيرة والأشرطة.. وهناك نظارات خاصة موضوعة على المقعد..

– اجلس هنا..

– وأنت؟

– سأجلس على المقعد الاحتياطي، فلت لي تحب رؤية كوكبك؟

– نعم..

– تكون فرصة لي لرؤيته أيضاً، أنا متشوقة لتعرفه..

– ألم تريه من قبل؟

– لا.. ليس محتماً علينا تعرف كل شيء..

– ولم تزوري المحطة البصرية من قبل؟

– طبعاً زرتها، وكانت زيارة استطلاع، رأيت خلالها بوساطة المحار

البصرية كواكب كثيرة من مجرتنا ومن مجرات أخرى.. ولكني لم أر كوكب الأرض..

- أتعرفين معادلة الرؤية..؟

- سيساعدني الحاسب في ذلك..

- عبثت بأزرار خاصة قليلاً فإذا بأرقام ضوئية ورموز تظهر على لوحة الكترونية أمام مقعده.. بدأت تنظر إلى هذه الأرقام والرموز، وتضغط على أزرار في الجدار المحاذي لها، وإذا بمنحنيات جيبية بدأت تظهر على الشاشة التي سطعت بضوء باهر..

- ضع النظارة على عينيك..

- هذه..

- نعم فهي تمتص الأضواء التي تؤدي البقعة الصفراء في العين..

- وأنت؟

- لدي هنا نظارة أمام المقعد الاحتياطي وقد ارتديتها..

- عدسة مصور بارع بدأت تتحرك في الكون تخترق المسافات الهائلة قبل أن تصل إلى المجموعة الشمسية، ثم بدأت تجتاز المسافات ببطء، لمح جزءاً من (بلوتو)، طالعه _نبتون، أورانوس)، ميّز طرف

حلقات زحل، لم ير المشتري، ربما كان في مداره بعيداً عن مدى الرؤية، أجرام صغيرة لامعة منتشرة هي بعض الكويكبات المنتثرة بين المريخ والمشتري.. لم ير المريخ أيضاً .. اقتربت العدسة، من الأرض، محطات صغيرة تنفلت من مدى الرؤية لها شواخص منتصبة.. جزء من القمر بفوهاته البركانية خرج أيضاً من مجال الرؤية.. ظلت العدسة البارعة تقترب، بدت الأرض جرماً مفلطحاً يسبح بالفضاء، تلوح خطوط قاراتها .. تقترب من مجال الرؤية تملأ اتساع الشاشة..

- فعلاً كوكبكم يشبه كوكبنا إلى حدّ بعيد ..

- في التفاصيل العامة نعم.. ولكن..

- لكل كوكب شخصيته الخاصة، المكتسبة من الكائنات التي تعيش فوقه، هذا أمر طبيعي..

- أستطيع رؤية مدينتي؟ أو منزلي؟ أو..؟

- هذا ممنوع عليك.. تستطيع أن ترى كوكبك لحدّ معين فقط..

- يعني؟

- رؤية خارجية فير محددة بتفاصيل؟

- لم؟

- للمجلس الاستشاري وجهة نظر في ذلك..

- ما هي؟ أتعرفينها؟

- قد تلح عليك الذكرى.. وتثير شجونك مناظر معينة.. وهذا ما يشتت أفكارك ويبعثرها..

- قد تكونين مبالغة في ذلك..

- هذا الأمر لم أقرره أنا..

- وما الفائدة من رؤية جرم بلا حركة..؟

- تستطيع أن ترى الحركة في بعض المناطق..

- مثلاً..

- القطب الجنوبي.. القطب الشمالي، منطقة الاستواء، المحيطات، البحار الكبيرة..

- درست هذه المناطق بالتفصيل قبل أن أصبح رائداً للفضاء.. ولو لم أجتز امتحاناتي في الجغرافية الطبيعية والفلك بنجاح تام لما صرت رائد فضاء..

- أيكفيك إذن ما رأيته من الأرض؟

– نعم.. ألا تحب أن نوجه عدستنا نحو هدف آخر في الكون؟

– أحب أن أرى قمر الحب..

– حسناً سنحاول أن نقربه لك، جوه السحري لا يسمح لنا بسوى رؤية سريعة جداً له..

– لماذا؟

– لا أدري، لم يحاول العلماء تفسير هذه الظاهرة لأن كشفها في يقينهم قد يدمر شيئاً في بنياننا الأسري..

تلاشت صورة كوكب الأرض من الشاشة، بدأت تعبث بأزرار خاصة بشكل آلي سريع..

– حاول أن تحدد بصرك في الشاشة فقط.. ستمر الصور بسرعة ولن ترى شيئاً إن شردت، العملية كلها لا تستغرق سوى ثوان قليلة..

– أتحفظين معادلة قمر الحب غيباً؟

– الجميع يحفظها كما يحفظ اسمه ورقمه وعمله..

ركز بصره على الشاشة التي بدأت تتلون بألوان بديعة، تجمعات مختلفة الأشكال من الأزهار الملونة في وسط بحيرة صافية.. قمر ساطع بدأ يقترب، جرم سماوي مكلل بغيوم بديعة الألوان ظهر على

الشاشة (صورته تتوضح) تلوح تفاصيله، حدائقه غاباته أشجاره طيوره البديعة بيوته، أنهاره.. خطوط ملونة غامضة كتل سود تخفي تفاصيل معينة، تلال بنية خضر أحياناً، بلا تفاصيل أيضاً بحيرات واسعة..

- أنستطيع تمييز العشاق هناك؟

- لا ..

فجأة اختفت الصور وعادت الألوان البديعة لفترة قصيرة قبل أن تختفي..

- تفاصيل كثيرة لم نرها جيداً.. وكتل من السواد تبدو غامضة مبهمة..

- قمر الحب مفتوح للعشاق.. حتى محاولة رؤيتهم مستحيلة.. العشاق يغرقون في دفء أحاديثهم بلا خوف أو رعب.. كل شيء في أمان.. وقمر الحب يحميهم من أية مؤثرات خارجية..

- كيف؟

- محطات كثيرة تلاشت في الفراغ تماماً، حاول مطلوقها التوصل إلى أسرار قمر الحب..

- من كوكبكم؟

– لا .. من كواكب أخرى.. في كوكبنا، نحترم قمر الحب، ولا نحاول الإساءة إلى أسراره..

– ما أشد شوقي فعلاً لزيارته..

– سنهبط على كوكبنا الأصلي بعد قليل، في برنامج زيارتك أيضاً، تعرف المحطة الذهنية..

– ألا شيء بعد في المحطة البصرية يجب رؤيته؟

– نعم، سنزور مراكز المولدات التي تغذي المحاور بالطاقة..

-٣-

خرجا من الغرفة المكعبة السوداء..

– أترى هذا البناء المستطيل الزهري؟

– نعم..

– كم تقدر المسافة من هنا إلى هناك بالخطوات العادية؟

– نحو ست مئة خطوة..

– إنها ثلاث مئة وتسعون خطوة، حاول أن تقرب هذا الرقم إلى ذهنك، اقتربت منه كثيراً .. التصقت به، ضمّها بين ذراعيه، انفلتت منه:

- لا تُسِيءْ فهمي سننتقل إلى ذلك المكان بمعادلة موجات الانتقال، أنا أضمك حرصا عليك..

- أتستطيعين حملي؟

- نعم بسهولة..

- لم لم تستخدمي معي هذه الطريقة من قبل؟

- لم تكن متعوداً أجواءَنا ..

- حسناً أنا جاهز الآن..

ضمته من جديد، بلحظات كانا قرب البناء المستطيل الزهري.. انفتح أمامهما باب آلي عريض، أطلا منه على مجموعات من العمال والعاملات خلف أجهزة دقيقة يركزون عيونهم في عدسات تبدو كعدسات المجاهر.. وأصابعهم تعبث بأزرار تمتد بصفوف عرضية أمامهم..

- ماذا يفعلون؟

- هذا القسم يختص بدراسة الذرات والالتحام الجزئي.. الأجهزة التي تراها هي مجاهر خاصة، قوة تكبيرها تصل (المليونين)..

- وعلى أي نوع من الذرات يجرون دراساتهم؟

– الذرات الطبيعية الخاملة النشاط، والذرات ذات النشاط الإشعاعي، تستطيع أن تطلع على أهم الخصائص الجديدة التي اكتشفت عن نواة الذرة..

– أيمكن أن أنظر في أي من هذه المجاهر..؟

– نعم.. فقط على ماذا تريد أن تتعرف؟

– الخصائص التي ذكرتها عن نواة الذرة؟؟

– حسناً..

حدّق بعض لحظات في مجهر إلكتروني متطور.. شهد من خلاله عملية الالتحام بين ذرات عنصرين متحدين.. والجسيمات الدقيقة التي تظهر وتختفي في النواة، ورأى لأوّل مرة في حياته كيف تلتحم نواتان لعنصرين قابلين للالتحام.. بدأت تتكلم عن أهم الخصائص المكتشفة لنواة الذرة، كيف تتحطم؟ وكيف تلتحم؟.. وكيف تزداد الطاقة الكامنة فيها؟ مكتشفات غنية، لم يعرف مثلها من قبل.. توصلت مراكز البحث في هذا الكوكب إلى حقائق علمية كان يبدو الوصول إليها من قبل أشبه بحلم، وتعرفت معظم خصائص الجوهر الفرد، تثوير جزيئاته، دمجها مع جزيئات لجوهر فرد آخر..

خرج من المستطيل الزهري مقتنعاً بأن لا مستحيل أمام العقل الذي يستطيع الوصول إلى حقائق علمية تبدو أشبه بحلم..

-٤-

وجد نفسه فجأة والسيدار يطير به محلقاً إلى جانب سيدارها، كانا منطلقين بسرعة بدأت تتعاظم، وقد استخدمت لفظة (ماشد) الخاصة بزيادة السرعة.. حطّ السيداران بعدما قطعا مسافات شاسعة فوق البرج المطل على البحيرة الهادئة، حيث التقى برجال كهول عرفته بهم أنهم من هيئة البحث المركزية.. نقل بوساطة محفة إلى البيضة الطائرة.. كانت إلى جانبه دائماً خلال انتقاله السريع، تهمس إليه بعباراتها المليئة بالشروحات عما يشاهده..

- سنهبط فوق سطح الكوكب، حيث نزور المحطة الذهنية؟

كانت البيضة تطير بسرعة خارقة مقتربة من الكوكب الذي ملأ مدّ النظر، خيل إليه أنه على وشك الاصطدام بسطحه الصلب، ولكن البيضة الطائرة حطت بهدوء فوق مرتفع أرضي إلى جانب بيضات أخرى.. بدا المرتفع وكأنه مطار للبيض الطائر..

- أسيصحبني بعض هؤلاء الناس؟

- كلا سأذهب معك وحدي حسب تعليمات المجلس الاستشاري المركزي..

حنون جميلة كانت وهي تسير برفقته. أحس بقوة خارقة غامضة تشده إليها. اقترب سيداران منهما، كان لونهما يميل للسواد، سألها :

– أللألوان علاقة بالمهمة الموكلة للسيدار؟

– طبعاً.. المحطة الذهنية تبث أمواجها ذات الطاقات العالية في جميع الاتجاهات، قد يتأثر بالأمواج سيدار بلون فاتح، في حين هذا السيداران لا يتأثران..

– وما السبب؟

– اللون الأسود يمتص الحرارة والضوء، في حين اللون الفاتح يكون قليل الامتصاص لهما.. السيدار الفاتح اللون لا يتأثر بالأمواج الضوئية الحرارية.. على حين يتأثر بالأمواج العالية كتلك التي تبثها المحطة الذهنية..

بدت مرتفعات الكوكب، وسهوله شبيهة بالمرتفعات والسهول الأرضية، لفت نظره نهر يجري في واد ضيق تحيط به جبال شاهقة..

– إنه نهر صناعي يمتص الشوائب من المصانع وينقلها إلى معامل تكرير تستفيد منها وتحرقها..

– أليست عندكم أنهار طبيعية؟

– بالطبع، ولكن أجمل الأنهار تلك الموجودة في قمر الحب..

– يبدو أنه في قمر الحب يتمركز جمال الطبيعة كاملاً..

- قد يكون ذلك؟ ولكن كوكبنا يحوي مناطق جميلة أيضاً..

- لا تستطيعون مقارنتها بقمر الحب؟

- نعم..

- أقمر الحب جميل إلى هذه الدرجة.؟

- لا أستطيع وصفه لك، ولكن قد تلتقي بعاشق زاره، يستطيع نقل صورة تقريبية عن جماله..

-٥-

بدأ السيداران يحومان فوق مرتفع أرضي مخروطي الشكل كأنه نحت بيد فنان.. على قمته تربعت عدة أبنية أسطوانية الشكل.. في وسطها بناء متطاول على شكل متوازي مستطيلات قاعدته مربعة.. وفوقه (أنينات) تمتد في الجو إلى مسافات شاسعة..

حطّ السيداران فوق البناء المركزي.. أمسكت يده وقادته عبر طريق لولبي فوق سطح البناء تحيط به صفائح من معدن صلب، وحينما أصبحا في مركز اللولب هبطا بوساطة مصعد إلى جوف البناء، كان مصعداً جدرانه من الزجاج الصلب، حطّ بهما في غرفة أسطوانية مليئة بالأجهزة والأزرار والمقابض الآلية..

– هنا مركز الاختبار الذهني تستطيع أن تختبر من حولك ذهنياً: الذكاء، المعاملة، سرعة التقبل، اللطف، المرونة.. يمكن أن تقرأ المخ كصفحة مكتوبة..

– مخي؟

– مخ من تريد..

– كيف؟

– اجلس على هذا المقعد وحدّد ما تريد، الأمواج الذهنية ستحقق لك طلبك..

– وكيف يمكن قراءة المخ كصفحة مكتوبة؟

– الأمواج ستنقل كل شيء إلى ذهنك..

– لم أفهم!

– حاول أن تقرأ ما في ذهني، اضغط على هذا الزر إلى اليمين، وحرّك هذا المقبض..

نفّذ ما قالت، وإذا بذهنه يخضع لأمواج أصابته بصداع في بادئ الأمر، وما لبثت أن انتظمت..

– ضع هذا الجهاز نصف الكروي في رأسك، وركز اهتمامك بما تريد..

– حسناً..

- «ذكية- هادئة- عذبة- مرنة- شغوفة بالعلم- تتأنى قبل أن تقدم على شيء- تحب شخصاً من غير عالمها- منذ زمن بعيد لم تر أهلها، قيل لها إنهم تلاشوا ..».

قال في نفسه: «قد أتمكن من إجراء حوار ذهني معها ..».

- بماذا تفكرين؟

- أريد أن أتعرف بك أكثر؟

سألها :

- ألا يمكن التخاطب من خلال قراءة الأفكار؟

- طبعاً، يجب أولاً أن تركز فكرك فيما تريد .. حسناً، اضغط على هذا الزر فسيساعدك الجهاز على التركيز..

- أريد أن أعرف أتحبينني؟

- قد يكون ذلك..؟

- لماذا ألست متأكدة؟

- أنا خائفة..

- مني؟

- نعم..

- لماذا؟

- أنت غامض بالنسبة إلي.. رغم أنني تعرفت على كل مواصفاتك الخاصة ولكني لا أزال خائفة..

- لماذا؟ حاولي أن تحددي..

- لا أدري؟ ربما أرغب معك بزيارة قمر الحب، ولكنك من غير عالمي..

- يعني؟

- قد لا نكون عشاقاً حقيقيين فوق قمر الحب..

- لا شيء يمنعنا من ذلك، أحاسيسنا متشابهة، شعورنا مشترك، طموحاتنا محددة بالرغبة في المعرفة..

- قد ترحل وتتركني؟

- إن بدأنا حياتنا معاً، من الصعب علي أن أتركك وحدك..

لم يكن يرغب بشيء في العالم، بعد ذلك، ترك الجهاز، وخلع نصف الكوة من رأسه ونهض من مقعده متجهاً إليها :

- يا حبيبتي..

كانت عيناها تنديان بالحب..

- أتحبني حقيقة؟

- أكثر من نفسي..

تلمست أصابعه الطريق إلى أصابعها :

- ألا تريد أن تتعرف المحطة الذهنية؟

- قد أتعرف عليها فيما بعد .. حبيبتي، بدأ الحب يزهر في قلبينا ..

عذبة كانت كالندى تقطر شهداً وحناناً ..

- لنذهب من هنا ..

- إلى أين؟

- إلى أي مكان هادئ بعيد عن الصخب..

- لا صخب في كوكبنا ..

- أقصد إلى مكان نختلي فيه معاً ..

- لماذا؟ أتخجل من الحب؟

– لا أرغب أن أثير أعين الفضوليين..

– لا فضوليين هنا، سترى الكل سعيداً بحبنا، ما دمنا في الطريق الصحيح..

– لم أفهم.؟

– ما دمنا صادقين، لن ترى حولنا إلا السعادة..

بدأ يتأملها بحب، طغت موجة من المشاعر الجديدة عليه، أحسّ بشيء عذب يتغلغل في أعماقه، ضمّها إليه، ارتعش وقد وضعت رأسها على صدره، ولم يدر كيف حملها بوجد، وأجلسها على ركبتيه، في حديقة جميلة قرب المحطة الذهنية وسعادته تفوق الوصف..

الفصـل الثالث

«قمـــر الحـــب»

-١-

تردد المجلس الاستشاري قبل أن يمنحها الموافقة، كانت الأجهزة الشديدة الحساسية التي امتحنتها قد أعطت نتائج إيجابية تماماً، ولكن تردد المجلس الاستشاري لم يكن ناتجاً عن شك أفراده في صدق العاطفة، لأن هذا الكائن العجيب القادم من كوكب بعيد قد تنتهي مهمته يوماً، ويترك رفيقة عمره وحيدة.. ولكن الحب لا يولد مرتين، هذه هي الجملة التي ردّدها رئيس المجلس الاستشاري حاسماً بذلك التردد سيطر على بعض أفراد المجلس..

كانا سعيدين، سعادتهما بحجم المدى، حين بلغهما قرار المجلس الاستشاري، قالت له:

- غداً تبدأ رحلتنا في المحطة المتوهجة..

قال: - سعادتي لا توصف، أنت نبع حياتي..

وأردف: - في قمر الحب سأولد من جديد..

همست:– أأنت متأكد من قلبك.؟

حملق فيها : – ماذا تقصدين؟

– أتعلم أن خطر قمر الحب على العاشق الكذاب كبير إلى درجة مرعبة..

– وماذا قالت الأجهزة؟

– قد تكون الأجهزة سبرت غورك، ولكنك من عالم يختلف عن عالمنا، وهناك مجال للخطأ والصواب..

– لا تخافي سأتحمل كل كارثة وهول، إن كنت عاشقاً مزيفاً..

درجا معاً في حديقة جميلة مزهرة، وأصابعه تقبض أصابعها بودّ.. استلقت فوق العشب ووجهها نحو سماء الكوكب الصافية، تمدد قربها، وداعب وجهها بأصابعه.. أغمضت عينيها تحلق في أحلامها، فبدأت شفتاه تأخذان طريقهما إلى شفتيها.. أحس بمذاق لعابها في فمه، لم يحس بمثل هذا الطعم اللذيذ في حياته من قبل، فتحت عينيها تحدق فيه بحب..

همس: – معبودتي ركنت رأسها إلى صدره تلتصق به..

محطة لامعة بيضاء صغيرة، وصلا إليها سوية، يحتضن كل منهما الآخر، وقربها محطات مشابهة لها تستعد للإقلاع أيضاً.. سألها :

- أتستقبل هذه المحطات عشاقاً مثلنا؟

- نعم..

- ومتى؟

- في أي وقت..

- سيكون قمر الحب مليئاً بالعشاق إذن؟

- أليس قمر الحب؟

دخلا المحطة الصغيرة من باب آلي انفتح تلقائياً، ذهل وهو يتأمل الفراش الوثير و(الديكور) المتقن الذي توسط المحطة، في حين فصلت ستائر بين سرير النوم هذا وأجهزة المحطة..

- ألن يجلس أحد معنا في المحطة؟

- لا يا حبيبي..

- وكيف؟ ومن سيقودها .؟

- سيسيرها العقل الإلكتروني تحت مراقبة المركز الرئيسي..

- ولم وضعوا هذه الستائر؟

- حتى لا تخجل من ممارسة الحب، أمام أجهزة التلفزة..

- لا أخجل أنا؟

– نعم.. أنت من بيئة مغايرة لبيئتنا، تعتقد أن كل الناس هنا فضوليون، مزعجون.. في حين أن أسرار الحب تظل محفوظة ضمن قوانين صارمة تحكم الكوكب..

– ولماذا قلت قوانين صارمة؟.

– صارمة. ضدّ من يحملون الموروثات الشريرة، وهم نادرون، ولكنهم موجودون في أمكنة من الصعب التكهن بها ..

– ألم تتخلصوا منهم بعد؟

– ليس وقت مثل هذا الحديث يا حبيبي.. بدأت المحطة تتحرك..

كان يجلس قربها، يدها فوق يده وعيناها تبرقان بوهج الحب وهي تنظر إليه.. أحس بقلبه يطفر من العشق، فامتدت يداه إليها تعانقانها بشغف..

-٢-

كانت المحطة البيضاء الصغيرة تقترب ببطء من قمر الحب، وكان العاشقان غافلين عما حولهما، وحين صحا رائد الفضاء الأرضي إلى نفسه وجد حبيبته ممددة قربه، جميلة عذبة شهية.. ففرج الستارة لينظر من كوة المحطة.. طالعه منظر رائع خلب لبه.. أودية جميلة خضر تشقها فروع لنهر يجري، فوقها تطير طيور بديعة ملونة، والأفق ممتلئ سحباً شفافة ملونة تزيد الجو بهاء وروعة..

كانت المحطة الصغيرة قد حطّت فوق إحدى قمم الجبال التي تنتشر في هذا الجرم السماوي الغامض.. أحسّ بذراعيها تحوطانه:

- أوصلنا يا حبيبي؟

التفت إليها، وعيناه تبرقان بالحب:

- نعم يا حبيبي..

بلحظات كانا ينفلتان من المحطة يطارد بعضهما بعضاً فوق سفح جبل كثرت فيه الأعشاب والورد.. توقفت تسند ظهرها إلى جذع شجرة باسقة، والطيور تصدح بأصوات بديعة.. اقترب منها، احتواها بذراعيه وبدأ يقبلها، وهو سعيد سعادة لا توصف..

- أنحن نحلم؟

- كلا.. هي الحقيقة يا حبيبي..

تمدّد على العشب، فتمددت قربه تلقي رأسها على صدره.. وفجأة أحس بها تسحب من بين يديه، يلتف حولها ثعبان ضخم.. قفز متحفزاً والثعبان يسحب حبيبته إلى جذع الشجرة.. نظر حوله فلم يجد ما يمكن أن يستخدمه كسلاح ضدّ الحيوان الضخم الهائل الذي لم ير في مثل طوله وضخامته ثعبان أرضي.. تقدم وقلبه يرتعش فرقاً عليها وهي تنظر إليه نظرات ضارعة مستغيثة وقد ألجمها الرعب.. أعطاه الحب قوة خارقة فامتدت يداه صوب الحيوان تحيطان به، تضغطان

بكل قواهما.. التف القسم الباقي من الثعبان حوله وأحس بعظامه تضغط، فقاوم بكل قواه هذا الانضغاط، وفجأة وجد الثعبان يسقط ميتاً، فخلص نفسه من جثته، وكذلك خلّص حبيبته التي سقطت بين يديه فاقدة الوعي.. نظر إلى وجهها العذب فأحس بقلبه ينسحق لمرآه.. ماذا جرى لها.؟ لماذا لا تتحرك؟ دفن رأسه بصدرها، وبدأ يبكي، أحس بأصابعها تداعب شعره، فرفع رأسه ليبصرها تنظر إليه نظرات المحب العاشق، فضمّها إليه وقلبه يطفر..

- خفت أن أفقدك..

- أنا مطمئنة إليك يا حبيبي، قوة حبك لي خلصتني من خطر التلاشي..

- أفي قمر الحب طبيعة بدائية كهذه؟

- لم تمتد إليه يد العلم، لتسيء إلى جماله فظلت الطبيعة كما هي..

- يعني أننا سنجابه أخطاراً كثيرة هنا؟

- قوة حبنا ستنتصر على كل شيء..

- أرأيت مبلغ ضخامة هذا الثعبان؟

- أخاف أن أنظر إلى جثته..

نظر حوله.. ففوجئ وظهرت الدهشة على وجهه:

- اختفت الجثة؟

- ماذا؟

- لا أثر لها..

- وكيف اختفى ذلك الثعبان اللعين..؟

- شيء غامض أثارني فيه؟

- ماذا؟

- كنت مستعداً أن أموت ولا أراك في ذلك الوضع الصعب، وهو يلتف عليك ويشدك إلى جذع الشجرة.. أصبحت أصابعي ككلابات، بدأت تضغط على جسمه الذي بدأن يلتف أيضاً حولي.. وفجأة سقط كإسفنجة ميت الإحساس والحركة كأنه ممثل يمثل دوراً، انتهى عند نقطة معينة..

لجأت إلى صدره تحتمي فضمها إليه، ورفع رأسها، وبدأ يغمر وجهها بالقبل ثم همس إليها:

- هناك كوخ صغير على شفة النهر، لنلجأ إليه الآن..

رفعها بين ذراعيه، وذراعاها تتشبثان بعنقه، ورأسها على صدره..

وقلبه يطفر من السعادة.. دفع بكتفه باب الكوخ فانفتح، ليرى غرفة جميلة مرتبة بسرير ضخم، حوله الزهور والورد، وعصافير صغيرة تسقسق، وهي تحوّم في سقف الغرفة..

- سيكون محراب عشقنا..

أغلق الباب خلفه، ووضعها برفق فوق السرير فجذبته إليها، وانقلبا على السرير عاشقين صغيرين، والحب غمرت عذوبته عالمهما الصغير..

-٣-

أيقظه من حلمه الممتع صوت زعيق وصراخ، نظر حوله فلم يرها، طاش صوابه واندفع مسرعاً يبحث عنها، كان باب الكوخ مقفلاً من الخارج، عالجه فلم يستطع فتحه، نظر نحو النافذة العالية ثم صعد كرسياً خشبياً، وحاول فتحها فلم يستطع، والزعيق والصراخ يزداد، لم يتمكن من تمييز صوتها، ولكنه أحس أن لهذه الضجة في الخارج علاقة بها، وفجأة وصل إليه صوتها: «النجدة».. فاندفع نحو الباب يضربه بكتفه حتى انهار أمامه، وخرج ليجدها بين يدي وحش خرافي عملاق يشدها إليه وهي تحاول التملص.. اندفع إليه وقلبه يطفر من الخوف عليها، تسمرت نظرات الوحش عليه، كان كائناً أشبه بالغوريللا، أنيابه الطويلة الحادة تظهر من فمه الواسع، وهو يطلق زعيقه وصراخه.. ألقاها الوحش أرضاً واتجه إليه، وبدأ عراك غير متكافئ بينهما، لحظها بطرف عينه ممددة، والدم يسيل من

فمها، فضم قبضتيه ونزل بضربة هائلة على بطن الوحش فارتدت قبضته دون أن تفعل شيئاً، اقترب من شجرة واقتطع منها غصناً يابساً ضخماً، وسدّد إليه ضربة أصابت ظهره، فازداد غضباً، وأمسك به من تلابيبه، ورفعه، وقبل أن يلقيه كان الغصن الجاف ينزل بسرعة خارقة فوق رأس الوحش بضربة هائلة حفرت في رأسه ثغرة جعلته يترك هذا الكائن الغريب ليسقط على الأرض، ويمد يديه إلى رأسه وهو يشخر من الألم..

نهض من سقطته واتجه إليها يمسح الدم المتدفق من فمها، وقلبه يختلج من الألم، ناداها بأعذب الأصوات وأرقها، وهو يضمها إليه فلم تستيقظ.. فبدأ يبكي وقد أعماه الغضب، تركها برفق واتجه نحو الوحش من جديد، فوجده لا يزال يئن من الألم.. اقترب منه ودفعه إلى حافة النهر بقوة، فتدحرج نحو الماء الجاري، ولكنه تماسك قبل أن يسقط، وانطلق الشرر من عينيه، ونهض بصعوبة وقبل أن يستقيم في وقفته، تلقى دفعة كبيرة، أسقطته في النهر حيث جرفه الماء الجاري..

عاد إليها، كانت لا تزال في رقدتها، حملها بين ذراعيه، واتجه نحو النهر، وبدأ يغسل وجهها بالماء، تحرك جفناها، وفتحتها وحين رأته شدته إليها خائفة وهي تبكي..

- ماذا بك يا حبيبتي؟

- لم أر في حياتي هذا الخوف..

– أجئنا إلى هنا لنخاف، ونعارك الهول.. أم لنتمتع بحبنا؟ أتحسين بألم؟

– رأسي يكاد ينفجر، ولأنك معي سليم معافى، لست أبالي بهذا الألم..

– ماذا يحدث لنا، أهو جزء من اختبارات العشاق؟

– لا أدري..

أوقفها وبدأا يسيران معاً.. حتى وصلا صخرة واسعة، أجلسها برفق، ثم صعد الصخرة وبدأ يصرخ:

«يا قمر الحب.. أحبها أكثر من نفسي، إن كنت تريد اختباري عذبني، ولكن أبعد عنها الأذى.. أنا أحبها أنا أحبها»..

ازداد صراخه حدة، وهو يدور على الصخرة.. قالت له وهي تضحك:

– ما أجمل صوتك يا حبيبي، صراخك يصل إلى أذني كموسيقا عذبة مسكنة، تخفف من صداعي القاتل هذا..

– أريد أن يفهم صراخي الكون، إنني أحب حباً صادقاً قوياً..

«يا قمر الحب.. أكثر من اختباراتك ووحوشك وعذاباتك، لست أبالي بشيء.. أرجوك جنبها الأذى.. أرسل كوابيسك إلي، واجعل أحلامها سعيدة عذبة أنا أحبها.. أنا أحبها..»

جلس إلى جانبها وأحاطها بذراعيه.. فركنت إليه مطمئنة وفجأة سمع صوتاً من خلفه يتنحنح، فالتفت ليجد شيخاً وقوراً يتوكأ على عصاه، وجهه مشرق ولحيته بيضاء كالثلج، ويرتدي ثوباً أبيض طويلاً، كان يقترب منهما بهدوء، تقدم منه وهو يشد حبيبته إليه، حدّق فيه الشيخ طويلاً ثم قال:

- بإرادتك تقرّر حياتك.. الثبات على المبدأ سيجنبك عذاب الضمير..

ثم سلك طريقاً متعرجة بين المروج الخضر، قبل أن يختفي.. نظر إليها فوجدها هادئة سعيدة، وهي تلتصق بصدره، فأحس بالاطمئنان، ومشيا ملتصقين حتى الكوخ القريب من ضفة النهر، دهش وهو يرى بابه سليماً لم يخدش مع أنه حطمه بكتفه قبل هنيهات؟ (في الأمر ما يبعث التفكير.. قمر الحب يلعب باختباراتهما..)

ابتسم بسعادة، وهو يمددها على السير قبل أن يغلق الباب.. وحين عاد إليها كان بدر وجهها يزيد من ارتعاش قلبه الذي يطفر بحب ملك عليه مشاعره..

-٤-

أفاق على السرير يرتعش ويهتز، كانت إلى جانبه تغط في النوم، أسرع إلى النافذة، يتأمل الجو، كانت السماء تبرق وترعد، ورياح هائلة تكاد تقتلع الأشجار، تعبث بالكوخ، رغم دعائمه الحديدية الضخمة.. انتابه شعور بالخوف، قد يتهدم الكوخ فوقهما، يجب عليه أن يلجأ إلى مأمن يحميه وإياها من عصف الرياح الهائجة، اقترب منها أشفق أن يوقظها، ولكنها فتحت عينيها فجأة:

- لماذا أنت قلق؟

- هناك عاصفة هائلة في الخارج، وأظن أن كوخنا هذا لن يتحمل الرياح الهائجة من وقت محدود..

- وماذا سنفعل؟

- من الأفضل اللجوء إلى المنطقة الصخرية أسفل الجبل، فهي أكثر أماناً لنا.. أأنت جاهزة للحركة؟

- نهضت مسرعة.. نعم..

قبل أن يقترب من الباب وهو يشدها إليه، انفتح الباب فجأة ودخلت هبات الرياح الهائجة فردتهما بعنف إلى الوراء.. أيقن أن الوقت قصير لينفذ بها، شدّ يدها إليه وانطلق بقوة من الباب والرياح تعبث بثيابهما، وقد أحس بهباتها الباردة في كل مكان من جسمه..

قال لها صارخاً : - لنحاول الانتقال بتقدير المسافة..

أجابته صارخة أيضاً : - مستحيل.. قمر الحب يبطل كل قوانين الحركة المألوفة لنا، لأن ذهنينا مشغولان بقضايا عاطفية..

شعرا برياح قوية تجرفهما في اتجاه النهر، حاولا مقاومتها دون نتيجة، وجد نفسه وإياها في حفرة عميقة، سليمين بلا خدوش، والرياح تصفر فوقهما دون أن تلامسهما تياراتها، قال لها :

- شيء عجيب، كأننا دفعنا من قبل قوى غير منظورة إلى هذه الحفرة..

ركنت رأسها إلى صدره:- أنا سعيدة، أنت سليم معافى معي..

سمعا نغماً عذباً قربهما، وإذا بالجدار المقابل لهما من الحفرة المستطيلة، يتحرك ليبصرا باباً حديدياً يصرّ وينفتح وسط دهشتهما وذهولهما .. ازدادت الألحان عذوبة، وإذا بصوت يصل إليهما :

- تفضلا بالدخول..

أحسّ أنها خائفة فشدها إليه:

- اطمئني، لن يتمكن أحد في هذا الكون الواسع من إصابتك بأذى، وأنا حي..

عاد الصوت يلح بنغمة مرحبة تختلط مع موسيقا عذبة:

- سيغلق الباب خلال ثوان، أسرعا بالدخول..

وفعلاً بدأ الباب يئز متحركاً فجذبها إليه وأسرع يلجه قبل أن يغلق تماماً.. رأى أمامه عدة درجات فشدّها إليه وهبطا معاً، ليجدا أنفسهما أمام مزخرف ضخم، ونور أخضر طفيف فوقه.. بدأ الباب يتحرك منفتحاً على قاعة ضخمة مضاءة بنور أبيض ساطع ينبعث من سقفها العالي:

شدّها إليه واخترق الباب متقدماً بجرأة:

- مرحباً بكما..

التفتا نحو مصدر الصوت، فوجد امرأة مسنة شعرها الأبيض ينسدل على كتفيها، تجلس على مقعد مرتفع، وقربها رجال مسنون لحاهم البيض تمتد على صدورهم.. كانوا يبتسمون بمودة وهم يوجهون نظراتهم نحوهما.. كانوا يقفون جميعاً على يمينها ويسارها، ثمانية كهول بقامات متوسطة..

- كنا ننتظر وصولكما منذ زمن طويل.. التقطنا أمواج عاطفتكما المشتركة.. منذ أن كنتما فوق الكوكب الأم، وعلمنا أنكما ستأتيان إلينا بعد أن تنجحا في اختبارات صدق العاطفة..

- أشارت برأسها نحو الأعلى، فإذا بكرسيين مريحين يتحركان آلياً نحوهما .. من جهة مجهولة.. أشارت إليهما أن يجلسا، فمنع حبيبته من الجلوس هامساً:

- سأجلس أنا أولاً، وإن لم يكن في الأمر خطر، ستجلسين بعدي..

ببطء حذر جلس على حافة الكرسي، فإذا بالكرسي يدور حول نفسه بسرعة خارقة وهو فوقه.. أحسّ بدوار هائل يعتريه وسمع صراخ حبيبته الحزين يخترق أذنيه:

- أوقفوا هذه اللعبة أرجوكم..

توقف الكرسي الدوار فجأة، هرعت إليه لتجده فاقد الوعي، احتضنته متألمة، وأراحت جسمه فوق الأرض وبدأت تبكي.. أفاق بعد لحظات، والصداع يكاد يفلق رأسه، فأبصرها دامعة حزينة فوقه.. ورأى الكرسي يتحرك صوبها، ضمّها إليه وقذف الكرسي برجله بقوة هائلة، فارتطم في الجدار بعنف، وإذا بأحد الأبواب المقابلة يفتح ليبصر مجموعة من الفتيات الجميلات بثياب بيض يقتربن منه، وفي أيديهن الأزهار، وإذا بالعجوز والشيوخ يختفون.. ويده تزداد إصراراً على التمسك بحبيبته..

قالت الفتاة - صغيرة السن- وهي تبتسم: - كان ذلك آخر اختبار لك أيها العاشق.. اتبعانا سوية..

نهض وقد ارتاح من صداعه، نظر إلى حبيبته فرآها شاحبة اللون، همس إليها:

- أتحسين بألم ما..

قالت: - لست مطمئنة كثيراً لهن..

قال: - وأنا كذلك..

نظرت الفتاة الصغيرة لهما وابتسمت.. وقبل أن يصلا إلى الباب المقابل شدته فتاة جميلة إليها وهي تهمس: - «تعال معي لتهرب من هنا، سأقودك إلى شطّ الأمان..» عذبة جميلة، بعينين خضراوين «سيقتلونك في الداخل، قلبي يتقطع عليك من العذاب الذي ينتظرك، تعال معي..» شدته إليها، انفلتت يده من يد حبيبته، وجد نفسه يدخل أحد الأبواب وصراخها يصل إليه:

- لا تتركني وحدي..

حاول أن يقاوم القوة التي تشده، وقد أحس أنها ليست قوة فتاة عادية، ضمته الفتاة إليها، وهي تهمس إليه بعبارات الحب، كان جسمه مخدراً بلا قوة، وإذا بالباب خلفه يفتح، وإذا بحبيبته تدخل كالعاصفة تنتزعه من بين يدي الفتاة التي تختفي فجأة..

- ماذا جرى لك؟ كيف ذهبت معها..

لم تكن لديه القدرة على النطق، كان مخدراً فاقد القوة.. بدأت تهزه بقوة وأنهضته ووضعت رأسه على صدرها وهي تقبله..

- استيقظ يا حبيبي.. كدت أجن حين انتزعتك من يدي..

تحركت الأرض تحتهما، وارتفعت قطعة دائرية كانا يجلسان فوقها.. وإذا بهما يجدان نفسيهما فجأة يطيران، والأبواب تنفتح أمامهما، قبل أن تحط بهما القطعة الحجرية الدائرية.. فوق أرض مليئة بالأزهار.. وإذا بالعجوز والكهول والفتيات وجمع حاشد بلباس أبيض يبتسمون لهما..

قالت العجوز: - اعذراني يا ولدي، قوانين قمرنا صعبة، وقد تجاوزتما كل اختباراتكما بنجاح..

ثم اقتربت من الحبيبة الهاجعة: - حبيبك غريب من كوكب آخر، لذلك فقوانينا واختياراتنا كانت قاسية عليكما سوية.. مرحباً بكما في قمر الحب انهضا لا تخافا..

أحسّ بقواه تعود.. وبأنه يصحو من حلم متعب، نظر إليها فوجدها هادئة مطمئنة ترمق ما حولها وهي تشد يده..

-٥-

وجدا نفسيهما فجأة في مرج أخضر قرب شاطئ نهر حفت به الأشجار الطويلة، وانتشرت أنواع كثيرة من طيور ملونة تردّد أعذب الألحان.. كان متمدداً قرب صخرة، ورأسها فوق صدره، تغفو بهدوء وأصابع يدها تتشابك بأصابع يده.. تحرك قليلاً يتأملها.. استيقظت:

- أكنا نحلم؟ (سألها)

- لا أدري..

اعتدلا في جلستيهما، قالت له: - أنا جائعة؟

فأجاب: - وأنا أيضاً..

ثم نهض مكملاً جملته: - سأبحث عن طعام..

نهضت ولحقت به: - سآتي معك..

اقترب من شجرة سفرجل، رأى ثمارها الشهية تتدلى بين الأغصان.. وتمكن بصعوبة من قطف بعض الثمار، أعطاها حبتين منها: - هو ثمر لذيذ..

بدأت تقضم السفرجلة الحمراء وهي ترمقه يأكل:

- أتعرف، هذه أوّل مرة أتناول فيها طعاماً طبيعياً..

- السر في قمر الحب.. ألا تشعرين بلذة مذاق هذه الثمار؟

- نعم.. أيوجد منها في الأرض؟

- طبعاً.. ولكن لذة ثمار قمر الحب لا تجارى..

أمسك يدها وبدأا يصعدان الهضبة المطلة على النهر، حيث جلسا فوقها على بساط من العشب..

ضمها إليه وبدأ يقبلها، فركنت إليه بحنان.. حيث تاها في عشقهما، وشردا عن العالم، ولم يصحوا إلا على المطر الذي بدأ ينسكب من سماء القمر، كأفواه القرب، بدأ يرتجف من البرد وهو يتحسس ثيابه الرقيقة المبللة بالماء، أما هي فكانت تفتح صدرها للمطر بلذة فائقة..

– ألا تحسين بالبرد؟

– نعم.. ولكني أحب المطر الطبيعي، لأوّل مرة في قمر الحب تتساقط زخات المطر الطبيعي وتبللني..

– لنلجأ إلى مكان نحتمي فيه من المطر..

أمسك يدها وبدأ يجري نحو غابة الأشجار في سفح الجبل الموازي للنهر..

تعلّم بعد أيام أن طبيعة قمر الحب بدائية، وأن عليه الاحتماء من الظروف الطبيعية والاعتماد على قوته.. بنى بمساعدتها كوخاً صغيراً غطى سقفه بالأوراق العريضة التي أحضرها من الدغل.. ونصب في وسط الكوخ سريراً خشبياً، وبدأ يتعلم بالتدريج أن يغزل، وعلمها وبرعت حتى حاكت ثياباً بسيطة، وأغطية للفراش.. كان في يقينهما أنهما سيقيمان طويلاً في قمر الحب، لذلك حاولا صنع أثاث متكامل للبيت الخشبي الصغير الذي أقامه..

وزّع وقته بين الصيد وإحضار الماء من قشور جوز الهند الضخم الذي كانت تتوزع أشجاره في الغابة القريبة.. وبين اصطحابها بعد

الطعام والاستراحة في نزهات استكشافية عبر المناطق الخضر الجميلة حولهما، بدأ كل شيء يستقر تقريباً، لا جو سحرياً، لا أشباح، لا حوادث غير طبيعية.. أحبا قمر الحب، وأحسا في جوه بسعادة لا توصف، كانت تطرز سماء القمر أقمار الكواكب الأخرى، إضافة إلى النجم المشع الذي يدور خوله الكوكب.. وقد بدأ الكوكب كرة منيرة ضخمة تتحرك في سماء القمر..

كان كل شيء جديداً بالنسبة إليها، أما هو فقد تعرف حياة مشابهة في كوكب الأرض، لذلك كان تكيفهما مع الجو سريعاً دون تعقيد، كانت في البداية ترفض أن تأكل من الأسماك التي يصطادها من البحيرة، ولكنها اقتنعت بعد طول جدال معه أن العملية ليست وحشية إلى هذه الدرجة..

استيقظ مرة في ليلة من ليالي قمر الحب، كانت السماء صافية، ومنظر فريد يتبدى بهاءً.. حيث انتشرت أقمار الكوكب في سماء قمر الحب إضافة إلى الكوكب الذي توسط كبد السماء متلألئاً بنور وهاج بديع.. أيقظها برفق، نهضت متمايلة تتأمل المنظر الفريد، شردا قليلاً وهما يتأملان السماء المتوهجة الملونة، صحا من شروده قليلاً على شهاب مندفع نحو القمر حيث انفجر على مسافة قصيرة في الوادي المجاور..

قال لها: – حتى شهب قمر الحب تختلف عن الشهب العادية، فهي تنفجر حين تصطدم بأرضه..

- أشك أن يكون ما سقط شهاباً..

- ماذا تعنين؟

- جسم غريب، ربما مركبة فضولية تحاول استكشاف أسرار قمر الحب..

- أيحدث ذلك كثيراً هنا؟

- ليس كثيراً ولكنه يحدث..

- لنهبط الوادي ونرى..

- أنا خائفة..

- ممن؟ أنا معك وتخافين؟

- قد يكون اختباراً جديداً من القمر..

جذبها من يدها وهبطا السطح إلى مكان الانفجار.. بدت له الأعشاب المحترقة وأخشاب بعض الأشجار لا تزال تتوهج من النار.. همس إليها :

- قد تمتد النار إلى الغابة القريبة..

-لا أظن.. قمر الحب يدافع بشراسة عن طبيعته..

- سأحاول جلب الماء من النبع القريب.. تعالي ساعديني..

كانت العملية صعبة، ملأ عدة قشور مجوفة لجوز الهند الضخم، وبدأ ينقلها معها ويلقي الماء على النار ليطفئها.. وحين وصل قلب الانفجار وجد مادة معدنية متوهجة في قلبها كرة تلمع بدت له صمّاء مغلقة.. ألقى بعض ما يحمله من ماء وهو يقول لها:

- فعلاً كانت مركبة فضائية..

- ما أغبى أولئك الفضوليين..

ما إن لامس الماء الكرة اللامعة حتى بدأت تدور حول نفسها بسرعة ازدادت كثيراً حتى اختفت من أمامهما.. أحس بصداع قوي تملكه، وصل حداً زاد على احتماله، صرخ متألماً قبل أن يغمى عليه، كابوس مخيف حطّ عليه، أحس بثقل يضغط على صدره، تبدت له وحوش خرافية، أشباح مخيفة قبل أن يصحو، وضربات قلبه وصلت حدّها الأعظم.. كان بين يديها وهي تبكي.. قرب بقايا المركبة المحترقة، وقد بدأ المطر يتساقط زخات بعدما غطت السحب المتسارعة سماء القمر.. والبرق يتوهج في إضاءات متصلة من كل الجهات، ساعدته على النهوض، وهو يحس بصداع قوي، ولكنه تمالك قواه قليلاً، وبدأا يسيران في اتجاه بيتهما على الرابية:

قالت له: - حذرتك من المجيء.. ما أكثر فضولكم يا أهل الأرض؟ أرعبني وقوعك وصراخك المتألم.. هي لعبة قذرة من أشرار كوكبنا المطرودين..

- ماذا تقصدين؟ كان متعباً وهو يسألها، والصداع يكاد يفلق رأسه..

- أقصد أنهم حاولوا السيطرة عليك، والولوج من خلالك إلى أسرار قمر الحب..

- كيف؟ ولو أقمت هنا أعواماً لن أتوصل إلى معرفة أسرار هذا القدر الغامض..

- ربما ظنوا- لكونك من طبيعة مغايرة- أنهم من خلالهم سيتغلغلون إلى القمر.. لخطط خبيثة ينوون تنفيذها ..

- ولكن قمر الحب يدافع عن نفسه..

- هذا صحيح، من أجلنا نحن، أعني من أجل سكان كوكبنا ذوي الطبيعة الخاصة.. ربما أنت تشذ عنا في هذه الحالة أعني من ناحية طبيعتك وتكوينك الفيزيولوجي، ألم تر أن المطر بدأ يهطل حين هدّد امتداد النار الغابة القريبة، وكانت سماء القمر خالية من السحب..

- صحيح..

وصلا إلى البيت الخشبي، أغلق الباب، فيحين كانت الرياح تئن وتعول، وقد بدأ مطر غزير ينسكب كأفواه القرب.. أشعل النار بعد جهد، إذ إنه أحس بانحلال قواه، كان احتكاك العودين بعضهما

ببعض قد استمر حتى بدأ الدخان يتصاعد، استنفذت كل قواه.. أشعل المصباح الضخم في سوط البيت ورأسه يكاد ينفلق من الصداع..

سوّت الفراش، وسألته:

- تبدو متعباً؟

- لا أدري ما حدث لي، أحس بصداع شديد..

- قلت لك لا تذهب.. كان يجب أن أمنعك..

- لم يحدث شيء..

- كيف؟ أنا متأكدة أن لتلك الكرة المتوهجة علاقة بصداعك..

- يمكن..

- حاول أن تنام..

قدمت له كأساً من الحليب الساخن، ودلكت برقة رأسه وظهره حتى تغلغل فيه الخدر ونام.. وكانت العاصفة حينها قد هدأت..

قرع الباب وهي ممتدة قربه حزينة قلقة، تردد الصوت من جديد بإلحاحٍ، خافت أن تفتح، ولم تشأ أن توقظه.. ولكنها سمعت صوتاً ناعماً:

- افتحي يا بنتي لا تخافي..

اقتربت من الباب:

- من أنت؟

- أنا رسولة قمر الحب إليك، ليس هناك من خطر..

كانت امرأة تتكلم ولحن عذب يتردد صداه خلفها.. أحسست بالاطمئنان، واتجهت نحو الباب تفتحه لتدخل امرأة متوسطة العمر جميلة ترتدي لباساً أبيض، وهي تحمل بيدها باقة ورد، وتعلق في كتفها قيثارة.. جلست المرأة على السرير قرب النائم.. ثم أشارت إليها أن تجلس قربها.

- اسمعي يا بنتي، زوجك ارتكب خطأ كبيراً هذه الليلة، حين اخترقت المركبة جو القمر وتحطمت، واصطحبك معه، والفضول يستبد به لرؤية ما حدث، ورأى النار تمتد في المنطقة، بدأ يطفئ النار، وساعدته أنت في إحضار الماء من النبع، كان في المركبة شرير تمكن من إحاطة طاقته بكرة معدنية صلبة، لو استمرت النار، لوصل ارتفاع حرارتها حداً جعلها تنفجر، ولكن زوجك ألقى الماء على النار قربها، فمنع الخطر عنها، ولأنه من طينة مغايرة، تسلطت قوة ذلك الشرير عليه.. وهو خاضع الآن لثقل كوابيسها .. لم تكن نية زوجك سيئة حين حاول إطفاء النار، رغم أنك حاولت أن تفهميه أن قمر الحب يدافع عن نفسه.. طبيعة قمر الحب شديدة المقاومة لمثل عمليات الاختراق هذه، لو انتظر زوجك قليلاً لانفجرت الكرة، ولهطل المطر وأطفأ النار..

- وما العمل الآن يا خالتي؟

كانت تبكي والمرأة تربت على كتفها:

- أنا هنا لمساعدتك.. نحن في قمر الحب هنا لا ندري شيئاً عن ماهية القوة التي حطّت في رأس زوجك.. ولكننا سنخرجها لأنها أساءت لقمر الحب وسماحته وجوه.. قمر الحب ليس صيداً سهلاً للشر..

- وكيف؟

- اهدئي ستعرفين كل شيء..

-٦-

يا ليلاً داجياً يلقي السم في رياحه المجنونة، وحيداً فيك أسبح في المتاعب، أترى أكبو، والشوك الحاد يثقب رجليّ، قمر صغير لاح من بين سحب يطارد بعضها بعضاً، استأنست به، وقد لاح على ضوئه الخافت السريع شبح أسود على بعد خطوات أمامي، كنت مدفوعاً من الريح نحوه، غطت سحابة ركامية سوداء وجه القمر، عاد الظلام عكراً بهوله المخيف، وأنا أحاول أن أجمع قواي للانحراف عنه، ولكني لم أنجح إذ سرعان ما اصطدمت بشيء طويل لزج ضمّ نحوي جناحين رخوين، وعصرني حتى كاد يكتم نفسي، ثم انطلق كالسهم في اتجاه ما وأنا أشعر بالغثيان وأتعرق، وأنا أحس بصدري

يضيق حتى فقدت الوعي. حين صحوت بعد فترة لا أدري طولها، كنت أقف في قاعة كبيرة مزينة بالجواهر، والرياض الفخم، هدر صوت في القاعة:

- اركع في حضرة مولانا الملك..

أجبرتني أيد قاسية على الركوع، وحين رفعت بصري أبصرت شخصاً سميناً بشاربين معقوفين، يرتدي بذلة طويلة ملونة، تزينها فصوص الجواهر، كان يأكل من عنقود عنب انبسط أمامه على المائدة، وهو يضطجع على كرسي فخم مرتفع، وحوله نساء حسان، يتمايلن على نغم هادئ راقص أنصاف عراة.. كنت مسحوراً بهذا الجو، وأنا أتأمل ما حولي. تكلم رجل قرب الملك:

- ابتسم لك الحظ أيها الغريب وحزت رضا مولانا الملك.. لذلك حاول أن تنفذ أوامره حرفياً، وإلا فقدت هذا الرضا وعشت في كوابيس انتقامه..

لم أفهم مدلول كلامه.. ولكنه استطرد قائلاً:

- حين قابلت رسولنا إليك، وأنقذته من خطر التلاشي، واصطحبته إلينا محمّلاً على أجنحة تفكيرك ذات الطاقة العالية، لم يخب ظننا فيك.. فمنذ البداية وضعت رسلنا التي درست الجو حولك، نفسيتك، فيزيولوجيتك،إمكانية كسبك إلى صفوفنا، وقد صدق تنبؤهم..

بصق الملك في آنية من الذهب، قدمها له أحد الخدم، ثم تنحنح وقال:

- أباركك أيها الغريب، وأعلنك فارساً من فرسان مملكتنا الشاسعة المنتشرة قواها بين الكواكب والنجوم.. هدرت الحاشية بالتبريك، والكلمات المبجلة للملك، ثم دفعت بهدوء لأركع من جديد أمام الملك، حيث وضع عصاه المذهبة فوق كتفيّ على التوالي.. وأحضر العبيد درعاً وسيفاً بلا نصل، فهمت فيما بعد أنه سيف شعاعيّ، يمكنه إن أحسن استخدامه تفجير سفينة فضاء بكاملها.. ألبسوني الدرع، وعلقوا السيف في حزامي، ثم وضع الملك بيديه الشريفتين خوذة متطاولة، تنبثق من مقدمتها (أنتيلات)، وحين ثبتها، أحسست أن هناك من يفرض عليّ ما أفعله..

اختفى كل شيء أمامي فجأة، ووجدت نفسي أخيراً في سفينة فضائية، وأنا مرتد الدرع والخوذة نفسيهما، كنت معرضاً لانعدام الجاذبية، وبعد محاولات تمكنت من الضغط على زرّ، ثمة من وجهني إليه عن طريق أوامر أتلقاها، وأنفذها دون أن أعي.. سيطرت على السفينة تماماً، ووجهتها صوب وجهة جديدة، لأشتبك بعد مدة مع سفن فضائية بأسلحة خارقة التدمير، ولأخرج منتصراً.. وتتجه سفينتي من جديد صوب جهة مجهولة، وحولي سماء مزخرفة بالنجوم القرمزية، اخترقتها بسرعة خيالية، لأحط في نهاية المطاف فوق سطح كوكب أجرد، أخرج حال هبوطي من السفينة، وأتجه صوب بقعة من الأرض تنفتح أمامي كوة، أهبط درجاً لولبياً، أجد نفسي في مختبر

للطاقة، حولي أناس آليون يقودونني إلى مدخرة هائلة، ويغرسون حقناً في ذراعي، قبل أن أربط بأسلاك كثيرة إلى المدخرة، يسري في جسمي تيار صاعق أفقد الوعي على أثره..

أرى نفسي من جديد منحنياً أمام الملك، وهو يقهقه وينظر نحوي:

- أيها البطل ستكون ساعدي الأيمن..

لم أفهم ما حدث، كان ذهني عاجزاً عن التفسير، كنت مسيّراً بلا حول ولا قوة، أنتصب على قامتي في حضرة الملك، وأضحك مقهقهاً.. سألني فجأة وهو يحدّق بي:

- ألم تجرب سيفك بعد؟

- لا.. يا مولاي..

فأشار نحو حراسه:

- أحضروا المساجين..

لحظات واندفعت جموع شبه عارية مقيدة من الرجال والنساء..

- اشهر سيفك أيها البطل.. ونفذ فيهم حكم الإعدام..

أضحك بتشفّ، وأضغط على زر القبضة في السيف، فاندفع لسان من الأشعة إلى مسافة مترين، وبدأ الحراس يدفعون السجناء واحداً

فواحداً، وأنا أمس هذا مسّاً بالسيف فيتلاشى، وأهوي على رأس هذا فأشقه نصفين قبل أن يتلاشى، تجمدت نظراتي في وجهها، كانت مقيدة بالأغلال، عارية الصدر، كسيرة النظرات، رفعت رأسها نحوي حين وصلها الدور، «يا حبيبتي، أنت..؟» شيء ما خارق اندفع في ذاكرتي.. أنا أعرف هذا الوجه، وقلبي يذوب في ترجيع ملامحه..

- نفذ الأمر يا بطل اضرب..

أتوقف، قوة قاهرة تأمرني أن اضرب، وشيء ما في قلبي يستحثني على الرفض..

- هيا، نفذ أمر جلالة الملك..

تتالت نغمات الأوامر.. ألقي السيف من يدي وأتجه نحوها، فأحس بصداع هائل وأسمع قبل أن أغيب عن الوعي صوت الملك:

- لم تروضوه الترويض الكافي بعد يا سفلة..

كانت المرأة تجلس قرب رأسه، وتعزف على قيثارتها، وقد جلست وهي حزينة ساهمة، تنتظر أن توقظه نغمات المرأة الحالمة العذبة.. ولكنه كان يسبح في لاوعيه، يبدو الإنهاك والتعب على وجهه وفي حركاته المتشنجة أحياناً..

- أنا خائفة عليه كثيراً، أيمكن أن تنجح هذه النغمات العذبة في إعادته إلى وضعه الطبيعي؟

– لا تقلقي يا بنتي، لا يمكن أن تنجح تلك القوى المجهولة في السيطرة عليه في قمر الحب.. قد تسيطر على أحلامه، أما على واقعه فهذا مستحيل، طبيعة قمر الحب شرسة في الدفاع عن مقوماتها..

– وما العمل؟

– أنا أحاول إيقاظه، وحين سأنجح، سأجري معه اختبارات صغيرة، لإضعاف القوة المسيطرة عليه..

– أتعنين حين سيستيقظ ستزول التأثيرات؟

– ستضعف ولن تزول، إلا بخروجكما من قمر الحب..

– أتعنين سيظل معرضاً لسيطرتها حتى تنتهي مدة إقامتنا هنا.؟

– نعم..

– وبعد ذلك؟

– قد تخرج القوة إلى مكان آخر في الفضاء، ربما إلى حيث وجهت إليه، أو قد تصبح سيطرتها كاملة..

– ألا حلّ؟

– يا بنتي إن طبيعة تكوينه تختلف عن طبيعة تكوينكم سكان الكوكب الأم.. لم لم تحاول القوة التوجه إليك والسيطرة على دماغك؟

– طبعاً لأنها لا تستطيع أن تتغلغل مهما حاولت وبأساليب خبيثة متنوعة.. أنتم تقاومون مثل هذه القوى، التي أظن أنها من بقايا تلك الفئات الشريرة المنقرضة..

أحست بحزن شديد يسيطر عليها، لم تتمكن النغمات العذبة المندفعة من قيثارة الزائرة أن تخفف عنها.. كانت تتأمله بحب وبدنه يختلج أحياناً، وفكرها شارد في المستقبل الغامض الذي ينتظرها معه.. رجّعت أيامها السعيدة في قمر الحب، وأحست أنها ستتعرض لكارثة مخيفة إن فقدته، كان جزءاً لا يتجزأ من كيانها ووجودها.. ازدادت شروداً وحزناً ونغمات القيثارة تزداد عذوبة وقوة.. مدّت المرأة إحدى يديها إلى الورد الجميل الزكي الرائحة الذي أحضرته معها، وأحاطت به عنقه، ويدها الأخرى لم تتوقف عن العزف كانت الورود ترسم دائرة حول رأسه وهو غارق في غيبوبته الغامضة وزوجته تنظر نحوه نظرات والهة حزينة تقطع القلب..

هبت أعاصير الغضب تعصف بالزبانية حول الملك، تمتعوا وهم يجيبون بصوت واحد:

– سنروّضه لك يا مولاي..

كنت قد استيقظت من غيبوبتي في بلاط الملك، بالحالة نفسها التي فقدت بها وعيي، التفتّ حولي فلم أجدها فأصرخ:

- أين ذهبتم بها يا أبالسة الجحيم؟ هي أنسجة الحياة في قلبي..

يقهقه الملك:

- لو قتلتها يا وغد زوجتك ابنتي.. وكنت الآمر المطاع، ولكن رفضك سيجلب لك الويلات..

- لماذا حكمتم عليها بالموت؟ هي بريئة كالندى لم ترتكب جرماً ولا إثماً.. سأنفذ ما تريدون، أعيدوها إلي..

- لو أعدناها حرة، لنمت قوتك وتعاظمت.. ولرفضت الانصياع إلى ما نأمرك به.. هيا أخرجوه من هنا، وروّضوه جيداً.. وإلا نلتم أشد العقاب..

أرفع عن الأرض، وأدفع أمامهم وهم يخزونني وخزات مؤلمة، ورأسي تتجمع حوله آلاف الأوامر التي تطلب إليّ الانصياع تماماً، وتسليم أمري دون مقاومة إليهم..

كان دماغي ينتفض، وأنا أرجع صورتها، وموجات الأوامر تردني عن طريق (أنتيلات) الخوذة المثبتة فوق رأسي، كالقدر لا أتمكن من نزعها، وقد حاولت من قبل حين دمرت السفن الفضائية التي هاجمتها منفذاً أوامرهم.. كنت أتعذب وأنا أفكر بحبيبتي الأسيرة المقيدة، وهي على وضع مذل مهين، وأنا لا أستطيع فعل شيء.. أدخلوني إلى غرفة أضواؤها ساطعة، والأوامر تطلب مني أن أفتح عينيّ، والصراخ حولي والضجيج المتراكم يكاد يفلق الرأس، ويصل إليّ صوتها فجأة يستنجد بي، كانت تتعرض للتعذيب:

- أشفق عليّ وأرحني من هذا العذاب.. تدفع أمامي فجأة بعد ما أخرج من غرفة الأضواء والضجيج، كنت مدفوعاً من قبل حراس مقطبي الوجوه في ممرّ إنارته خافتة بين أبواب الزنزانات الموزعة حولي، حين دفعت أمامي من باب زنزانة.. سقطت على الأرض، والدماء تنزف من فمها وجروحها الموزعة في أنحاء بدنها العاري.. تدفع رأسها وتنظر إليّ ثم تتمتم وهي تبكي:

- اقتلني، خلصني من هذا الذل.. دنسوني بقذاراتهم.. وأنا ضعيفة لا حول لي ولا قوة..

يبدأ سيل من الأوامر يصل إليّ:

- اقتلها، خلّصها من عذابها لا تتردد.. سيزدادون همجية في التعامل معها.. أمرتهم بذلك هيا، إن كنت تحبها خلّصها من دنسها.. أرفع سيفي وأضغط على الزر لينبثق الشعاع القاتل.. في حين يتوقف الحراس من حولي يراقبونني بحذر.. يصل إليّ صوتها وهي تحدّق بي بعينين حزينتين متعبتين:

- لا تتردد.. اقتلني.. حرّرني من هذا الدنس والعذاب.. يهبط سيفي نحوها ببطء وقلبي يتقطع من الألم، وصوتها يصل إليّ واهناً ضعيفاً، ولكنني أميّز فجأة أن شفتيها لا تتحركان، وهي تتكلم وتصرخ بي أن أتشجع وأضرب.. نظرة صاعقة بها كل العذوبة والحب تصل إليّ من عينيها، فأحول السيف باتجاه حراسي، ثم أفقد الوعي..

لم تكلّ رسولة قمر الحب عن العزف بقيثارتها، وتسوية الورود الشذية الرائحة حول رأسه، والحبيبة الشاردة الحزينة ترقبه، وعيناها تغوصان في أعماق أسى من نوع جديد لم تألفه من قبل..

فجأة بدأت الورود تدور حول رأسه ببطء، والنغمات تتسارع، واندفع غناء شجي من المرأة، فاختلج رأسه قليلاً، ثم أخذ يهتز، وارتفع قليلاً عن الفراش، ثم هبط ببطء، التصقت به بحب، تراقب الوضع، ولكن المرأة أومأت إليها أن تبتعد، وفجأة ارتفع جسده عن الأرض بقامته المتطاولة، المتشنجة، وظلّ على هذا الوضع لثوان قبل أن يعاود الهبوط. همست المرأة:

- بدأنا نقترب من شلّ عمل القوة..

- أسيستيقظ؟

- بعد قليل.. حالما نسدّ الثغرات على القوة الشيطانية المتشبثة بذهنه.. لا تقلقي يا بنتي، قمر الحب لن يخذل ضيوفه..

أحست بدار وهي تصغي لكلماتها، تشددت كثيراً، ولكن أعصابها خانتها رغم الألحان المقوية التي تصدح حولها..

- ما لك يا بنتي؟

- دوار، أحس أنني سأغيب عن الوعي..

مدّت يداً إليها، واليد الأخرى تداعب قيثارتها، تفحّصت نبضتها، وضعت يدها على صدرها جهة القلب، مررتها بهدوء حتى البطن، ثم همست تقول:

- أنت حامل..

- ماذا؟

- في بطنك كائن ينبض بالحياة..

- ولماذا أتألم.؟

- لأنك فوق قمر الحب، حيث لا حبوب مهدئة، ولا عقارات مسكنة، ولا عقول إلكترونية تخفف العبء عن الجسم.. كل شيء على الطبيعة..

- سيفرح كثيراً بهذا النبأ.. أرجوك حاولي إيقاظه بسرعة..

- سيستيقظ سريعاً لا تقلقي..

دفعوني بقسوة أمام الملك المحمرّ العينين من الغضب:

- إنه يأبى الترويض يا مولاي..

- أنتم جهلة أيها الأوغاد، سيروّضه وزيري الأول..

أحنى رجل وحشي الوجه، شرس النظرات رأسه أمام الملك:

- لن يستعصي عليّ ترويضه يا مولاي وأنا تلميذكم المطيع..

قهقه الملك وهو ينظر إليّ ثم فتل شاربيه:

- ستكون يدي اليمنى كما قلت لك.. أنت شاب مقدام نحتاج إليك معنا، جلاداً لا يرحم..

رفعني الوزير الأول من رقبتي بإحدى يديه، ثم ألقاني بين يدي رجل فارع الطول مفتول العضلات، فعاجلني هذا بضربة على رأسي أحسست منها بآلام لا تطاق:

- سأنظف لك هذا الرأس.. وجدت نفسي بعد لحظات أطير في مركبة فوق كوكب أجرد كثير الفوهات البركانية، ومعي الوزير الأول والرجل المفتول العضلات.. حطّت المركبة في فوهة بركانية عميقة، حيث انفتحت أمامنا فوهة دائرية واسعة، هبطت فيها المركبة بهدوء، ثم انغلقت خلفها آلياً، ثبتت المركبة دعائمها الأربع فوق مستو صخري أملس، وأحاطت بنا كائنات سود ضئيلة تشبه السلاحف، ولكنها منتصبة على طرفيها الخلفيتين.. وتحمل بيدها رماحاً مدببة تهتز رؤوسها بتناوب مستمر.. هبط الوزير الأول، فأحنت الكائنات رؤوسها، ودفعني الطويل المفتول العضلات لأسقط على وجهي بين أرجل الكائنات..

صرخ الوزير الأول آمراً:

– إلى بوابة الظلمات.. لنروّض هذا الأحمق المغرور..

أحنت الكائنات رؤوسها، ورفعني أحدهم بقوة لم أصدق أنه يمتلكها.. وبدأت ملايين الإبر تخزني في أنحاء متفرقة من جسمي، وآلام حادة لا توصف تسيطر علي قبل أن أفقد الوعي..

استيقظت على سيل من الماء البارد يتدفق عليّ، وأنا أرتعش، فتحت عيني فلم أر شيئاً، خفت أن أكون قد أصبت بالعمى، ولكني تذكرت كلمات الوزير الأول من أن عملية ترويضي ستجري في بوابة الظلمات، إذن أنا في هذه البوابة السوداء الآن.. يا طيفها المشرق في عالمي الداخلي أبعد عني اليأس والاستسلام..

صياح وصراخ وأنين مرعب، وصل إليّ ولم أملك القوة لسدّ أذنيّ، وصل إليّ أنينها وصوتها الضعيف واهناً: «أنقذني من هذا الجحيم ونفّذ طلباتهم»، فعلمت أنه وهم، نفذوا من خلاله إلى أعصابي ليزيدوها تعباً، أيد رخوة خارقة القوة رفعتني وأجلستني فوق حشرات صغيرة صلبة، بدأت تقرصني بإبرها الحادة، وآلام لا تطاق تستل البقية الباقية من قواي.. فتحت الأيدي الرخوة فمي واندلق سائل مرّ كالحنظل، بضغط قوي فنفذ إلى معدتي يملؤها، دون أن يسمح لي الضغط أن أتقيأ.. أغلق فمي، وثغرات جسمي المفتوحة إلى الأحشاء، ووضع ثقل حار فوق بطني، فصرخت من الألم صراخاً حمل كل معاناتي:

«الرحمة، يا زبانية الجحيم..».. وصل إليّ عندها صوت أجش:

«ستصبح يد الملك اليمنى.. أنت الآن مخدر القوى، محاصر بالعذاب حتى تعلن استسلامك..».

- أنقذ نفسك وأنقذني يا حبيبي.. ونفّذ ما يريدون..

زاد صوتها من عذابي ولم أطق الصبر فصرخت: «وماذا يريدون سوى دمارنا يا حبيبتي..».

- ستصبح القوة في يدنا، وترتاح من هذا العذاب..

أيها الوهم الذي يحاصرني، ويدمر بي صبراً اعتقدته راسخاً كالجبل، أعدني إلى الحقيقة، وأخرجني من هذا الكابوس المطبق علي كالرحى يطحن بقاياي..

بدأت قوى سحرية تتغلغل في خلاياي، أحسست بقواي تعود إلي، وأن رأسي بمتانة الصخر، وتسرب شعاع من الضوء من سقف المكان، بدأ يكبر مسلطاً عليّ، حتى غمرني النور، وإذا بقوة خارقة تسحبني وصوت يصل إلى سمعي مترافقاً بنغمات عذبة: «قمر الحب لا يخذل ضيوفه..».

سحبتني القوة من الكوكب الأجرد ذي الفوهات البركانية، وصرت كأنني أطير حراً في الفضاء، والنغمات تزداد عذوبة وتزيد من تقويتي، أخترق بطيراني الحر السريع أغلفة جوية، وضباباً أزرق شفافاً، لأصل

في النهاية إلى قمة جبل أخضر يحتويني طائر ضخم أبيض يسقسق كالعندليب، وأرفع على ظهره ليطير بي فوق غابات ومروج يغمرها الضوء الأبيض، ثم يصعد بي في الفضاء ليحط بي بعد لحظات فوق كوكب جميل المنظر، حيث يقتادني أناس آليون بمركبة صغيرة بسيطة تقطع بي الفضاء لأسبح في غمار حلم جميل قبل أن يعود إلي وعيي..

تحرّك من رقدته قليلاً قبل أن يفتح عينيه، بصر بها قربه، تحدّق فيه، والدموع تغشي عينيها:

- حبيبي، عدت أخيراً من رحلة الغيبوبة..

اندفعت إلى صدره فضمها إليه، كان رأسه ثقيلاً، وجسمه متعباً، غمره إحساس بالانتعاش والطمأنينة فشدها إليه وغفا..

همست إليها المرأة:

- إنه على ما يرام الآن لا تقلقي..

خلصت نفسها بهدوء من بين ذراعيه، والتفتت صوب المرأة:

- أمتأكدة أن لا كوابيس مزعجة بعد الآن؟

- أعتقد أننا نجحنا في تخليصه من تلك القوى الشريرة، ولن تعود إليه أحلامه المزعجة، ما دام في قمر الحب..

- أيمكن أن تعاوده حالما يخرج من جو القمر السحري..

- لا أدري.. هو من طبيعة مغايرة لطبيعتكم.. قد تحصل مفاجآت غير متوقعة..

- ماذا تقصدين؟

- ربما تمكن من الانتصار على هذه القوى التي تلاحقه..

- أرجوك، ألا سبيل لطردها بلا عودة؟

- يا بنتي، بالحب والتسامح والابتسامة، يستطيع الخير أن يطرد قوى الشرّ.. ولولا الأنانية، والحقد، والطمع.. لما كان للشر وجود..

ودعتها المرأة ومشت بخطواتها البطيئة، وهي تبتسم في وجهها بحنان، ثم نقرت على القيثار لتنبعث نغمات ساحرة عذبة، قبل أن تغلق الباب.. نظرت حولها تتأمله ممدداً وحوله الورود، والاطمئنان بلوح على وجهه، فغمرها حب جارف فاندفعت إليه تسند رأسها إلى صدره، وما لبثت بعد لحظات أن غفت..

-٧-

استيقظت على آهاته ونفسه المتقطع، وبدا وجهه ينضح بالعرق، يبدو أنه يشهد حلماً مزعجاً، هزته برفق تريد إيقاظه، ولكنه ظلّ في نومه العميق. أحست بالحزن يسيطر عليها، وبدأت الدموع تتدفق من عينيها، هاهي تتعرف ظاهرة البكاء والعيون الدامعة في قمر الحب. لم تبك في حياتها إلا فوق سطحه، ولم تشهد سعادة حقيقية أيضاً إلا فوق سطحه، ما أغرب قمر الحب هذا! عذبها

وأسعدها، وعرفها أموراً كثيرة لم تكن تعرفها رغم عمق اطلاعها الواسع، ورغم أنّ مدخرات الكوكب الأربع أغنت معلوماتها عن ظواهر الكون وخفاياه.. ربما هي أوّل مرة يتعرض فيها عشاقه المشبعون بالحب لهذه التجارب المتعبة، حتماً يعود السبب إليه، إلى هذا الكائن الأرضي الذي هبط كوكبها ودخل قلبها، فانجرّت بهيامها إلى الزواج منه، والمجيء إلى قمر الحب، متذكرة قانون عالمها (الحب لا يولد مرتين)..

كانت دموعها المنهمرة قد غسلت وجهه واختلطت بعرقه.. تململ قليلاً قبل أن يفتح عينيه ثم مدّ يديه إليها فهرعت إلى حضنه، والحبّ يطفر بوهجه البارق في قلبيهما..

– آه يا حبيبتي، سأقاوم النوم حتى لا أشهد الكوابيس التي أراك فيها تتعذبين..

أحسّ بآلام لا تطاق في يده وهو يحاول النهوض، وحين كشف عنها، وجد شوكة كبيرة منغرزة في رسغه، طلب منها رفعها، فمدت يداً مرتجفة.. استحثها على السرعة فلامست بأصابعها الشوكة فأحست بنار حارقة تتسرب من ثقب صغير في أعلاها، فأبعدت يدها خائفة.

قال لها: – ساعديني على الجلوس، فسأنزعها بيدي الأخرى.. بذلت جهدها تساعده على النهوض من اضطجاعه، والجلوس على

طرف السرير.. مدّ يده بقوة إلى الشوكة يسحبها فانبثق الدم.. خيطاً رفيعاً، وضغطت بأصبعها حابسة الدم من السيلان، قبل أن تربطها بضمادة من ثوبها..

تأمل الشوكة الحادة، وفكر بسحرها، أهو اختبار جديد من قمر الحب؟ أم إن الأشرار الذين تغلغلوا بوساطته كجسم غريب عن الجرم، استمروا في إزعاجه حتى يرضخ لأوامرهم؟

كانت شوكة حادة صلبة بطول أصبع صغير من أصابع يديه، شعر بصلابتها ومتانتها وثقلها، ولم يدر كيف يتصرف حين سمع صوتها العذب يصل إليه بهدوء:

- تخلّص منها يا حبيبي..

- وكيف؟

أحس بقوة تسيطر عليه، فنهض ببطء يفتح باب الكوخ، وينطلق في طريق متعرج وزوجته تتشبث أصابعها بطرف ثوبه الرقيق، سقسق طير أبيض ضخم مرفرفاً بجناحيه فوقه، نظر نحوه، وتابع طريقه بهدوء حتى وصل قرب النهر، ثم رمى بكل قوة بالشوكة نحو التيار الجاري، فتلقاها الطير بمنقاره قبل أن تصل سطح النهر، ثم ارتفع محلقاً، ليسقط بعد لحظات ميتاً على بعد مترين منه.. تأمل جثة الطير، وأحس بحزن عليه، ولكنه سمع صوتاً وصل إليه مع هبة الهواء:

- قمر الحب لا يخذل ضيوفه..

شعر بالراحة، وقد تضاءلت آلام صداعه، فالتفت نحوها يعانقها بحب.. همست:

- أنا حامل يا حبيبي..

- ماذا؟

- إنها الحقيقة..

رقص طرباً وهو يرفعها بين ذراعيه، نسي آلامه ومصائبه، وأغرقها بالقبل، وضعها بهدوء على العشب، ولحن عذب خفي يتردد صداه، يلامس أسماعهما..

عاشا أياماً سعيدة دون منغصات، كان يشتكي أحياناً من الصداع، ولكنه كان يخفي عنها لكيلا يقلقها، وقمر الحب يهيئ بجوه الخاص عالماً سحرياً يزيد من سعادتهما وعشقهما.. لم يكن يسمح لها بالقيام بأي عمل مهيئاً لها كلّ أسباب الراحة والاستقرار، لكيلا تؤثر حركتها وعملها المرهق على الجنين في بطنها، ولاسيّما أن جو الجرم كان يحتم عليه العمل باستمرار، رافضاً مساعدتها..

في أحد الأيام قالت له:

- أحس أن ميعاد عودتنا قد دنا..

أجابها :

- وكذلك أنا ..

- يعني ذلك أننا سنغادر قمر الحب عائدين إلى الكوكب الأم..

- سيريحك الحمل في جو الكوكب؟

- نعم..

- ومتى سنغادر؟

- حالما تحط محطة العشق الصغيرة قربنا ..

- سنفتقد هذه اللحظات الجميلة التي عشناها هنا ..

- وسنخفي أسرارها في قلبينا .. هكذا تعلم العشاق من قمر الحب..

صف طويل من الفتيات الجميلات والعجائز يرتدين اللباس الطويل الأبيض، ويحملن وروداً بيضاً، وبعضهن يعزفن على قيثارات صغيرة ألحاناً عذبة، طيور ملونة تحلّق فوقهما، سحب شفافة وردية تقطع سماء الجرم من غربه إلى شرقه.. ومجموعة من الشيوخ ذوي اللحى البيض يقفون بصمت قرب المحطة الصغيرة التي ستقلهما عائدين إلى الكوكب. همس إليها :

– ما سرّ هؤلاء الناس ساكني قمر الحب؟

– لا أدري، ولا أجرؤ على التفكير بهم، هل هم حقيقيون، أم إن القمر السحري يصورهم لنا ليزيد من طمأنينتنا وسعادتنا؟

– كم يخفي قمر الحب من أسرار..!

كانا يتقدمان ببطء صوب المحطة.. وحينما وصلا إلى مقربة منها، اقترب كهل بلحية بيضاء منهما، ووضع يديه فوق رأسيهما ثم قال:

– لتكن السعادة والخير محور حياتكما أيها العاشقان..

ازدادت الموسيقا عذوبة، وانفتح باب المحطة الصغيرة أمامهما، وانخفض منها سلم بدرجات قليلة، صعدا فوقه بهدوء وإحساسهما بالكآبة يزداد..

قالت له:

– حانت لحظة فراق قمر الحب، ما أشد كآبة وثقل هذه اللحظة..

– معك حق يا حبيبتي..

لم يستطع كبت دموعه التي سالت، وهو يرتقي الدرجة الأخيرة خلفها، وما لبث باب المحطة أن أغلق آلياً، أخذا مكانيهما على مقعد طويل يشرف على كوة زجاجية، تمتد على السطح الكروي للمحطة..

شهدا صفوف الفتيات والعجائز والكهول تنتظم بحلقات، والأيادي ترتفع ملوحة بالورود، والطيور ترسم بطيرانها المنظم لوحات جميلة يعجز عباقرة الرسامين عن رسمها..

ابتعدت المحطة بهدوء عن سطح القمر، ودخلت في طيات السحب الوردية الشفافة، والنغم العذب يتردد رجيعه ثم يتضاءل صوته والمحطة ترتفع حتى يتلاشى..

قال لها:

- في بداية رحلتنا إلى القمر، كان هناك سرير وستائر زرق، والآن يبدو الوضع مختلفاً، مقعد طويل، أمام الكوة الزجاجية مباشرة..

أجابت بهدوء:

- بدأت الآن حياتنا الحقيقية، بعد أن انتهت فترة أحلام العشق..

- ولكني حبي لك ازداد..

- وأنا أيضاً، تحول حبنا إلى واقع، سنمارس من خلاله حياتنا فردين في مجتمع منظم..

على الشاشة المنخفضة بدأت تلوح تضاريس الكوكب الأم ومعالمه.. فضمها إليه بحنان، والمحطة تتابع سيرها في رحلة العودة..

الفصـــل الرابـــع

«الرحيـــــل»

-١-

نقل حالما حطت المحطة الصغيرة على أرض الكوكب، إلى المختبرات الطبية بعد أن فقد الوعي من الصداع القاتل الذي انتابه، وهو يخترق الغلاف الجوي للكوكب، أحاط به العلماء، الذين استنفرهم المجلس الاستشاري لدراسة حالته، يفحصونه بأجهزتهم دون أن يتمكنوا من سبر أسباب صداعه، فنقلوه إلى المحطة الذهنية..

على الشاشة المجسمة في المحطة الذهنية، لاح وهج دائري يحيط برأسه كالإكليل، وبدأت تلوح أشباح نورانية تنطلق من الوهج في تناوبات مستمرة، لم تتمكن المدخرة رغم قدرتها الخارقة من سبر غور ذهنه، فنقلوه إلى المحطة البصرية، فلاحت لهم كائنات بعيون جاحظة تملأ الضباب الذي أحاط برأسه.. وفي المحطة السمعية وصلتهم أصوات متقطعة، خشنة:

- نحن العمالقة من كوكب الطاقة المدمرة مولانا الملك حامينا وقائدنا لا مفرّ لكم من الاستسلام، انتشرت قوانا فوق كوكبكم وتوابعه.. قهقهات حادة تتابعت قبل أن تتمكن المدخرة السمعية من التقاط أصوات خشنة جديدة:

– نحن العمالقة أبناء الملك القاهر.. يا أقزام السخف الضعفاء، استسلموا، مولانا هو الحامي، الآمر، ونحن جنوده المطيعون..

توصلت اللجنة العلمية إلى أن هذا الكائن الغريب، واقع تحت سيطرة كائنات شريرة تحاول النفوذ إلى الكوكب.. وبما أن مدخرات الطاقة لم تتمكن من سبر ماهيتها، فقد قرّر المجلس الاستشاري، بعد أن التقط نداءات كثيرة من المحطة الكبيرة التي هبط بها هذا الكائن، أن يهيئ له أسباب العودة إلى كوكبه، رغم ارتباطه بكائنة من عالمهم، قد يسبب لها رحيله ارتباكاً في نظام حياتها كجزء فاعل في مجتمع الكوكب.. ولكن لا مفرّ.. كان قراراً قاسياً، ولكنه كان السبيل الوحيد، ربما لإنقاذ حياة هذا الكائن، ولإنقاذ سكان الكوكب أنفسهم من كارثة قد تكون آثارها سيئة العواقب..

«حبيبي»:

بالدموع أودعك، وقلبي يختلج وأنا أتأملك منقولاً على حمالة إلى محطتك الفضائية، في رحلة اللاعودة.. والذكريات تتدفق في ذهني مستعيدة اللحظات السعيدة التي قضيناها معاً، في جولتنا في الكوكب وتوابعه، وفي رحلتنا الجميلة إلى قمر الحب.. لحظة الفراق هذه هي التي كنت أخافها، وأرعب من التفكير فيها، أتت بكل ثقلها وآلامها تغرقني بحزن يوصف، وأنا ابنة عالم لا يعرف الحزن والدموع.. عالم مبني على عاطفة منطقية بلا إسفاف، وضعتني ظروفي الغريبة، في خضم عاطفة أبعدتني عن التفكير المنطقي، وسدّت علي أبواب

الأمل والسعادة.. هذا الجنين الذي ينبض بالحياة في بطني، سيكون السلوى والعزاء عن فقدانك، وسأعلمه لغة الأصالة والحب والكفاح في سبيل الخير والأمان في هذا الكون الفسيح الأرجاء.. ومن يدري قد يلتقيك يوماً ليحمل لك محبتي الأبدية وشوقي للقاء بك، رغم استحالته.. أودعك بالخير والحب، وقلبي يختلج من الخوف عليك، وأهمس في أذنك للمرة الأخيرة: كن قوياً ولا تستسلم للأشرار.. وتذكر أن من يلتحف لحاف الشر يجلب الدمار لأهله وكوكبه وعالمه، ولتكن أيامنا التي عشناها سوية حافزاً لك على العطاء والتضحية في سبيل الجموع..»

-٢-

بدأت المحطة تتحرك، تمكنت الهيئة العلمية للمجلس الاستشاري من تغذية العقل الإلكتروني بالطاقة، وبرمجته ليبسر لهذا الكائن العودة إلى كوكبه، بعد أن تأكدت من صحة كامل الأجهزة وفعاليتها.. وهكذا بدأ العدّ التنازلي لانطلاق المحطة، إذ أحاطت بها لجان المجلس الاستشاري الذين وقفت الزوجة المفجوعة بينهم تبكي بصمت وهي تتأمل المحطة التي انطلقت بهدوء مرتفعة في سماء الكوكب قبل أن تأخذ مداراً لها حوله، متهيئة للسير في المسار المرسوم لها في رحلة العودة إلى الأرض..

علمت أن تلك الكائنات الشريرة التي سيطرت على حبيبها استغلت وجوده في قمر الحب المهيأ تماماً للدفاع عن جوه، وضيوفه

من ساكني الكوكب أنفسهم، وليس من كائن غريب يختلف بالمواصفات الفيزيولوجية عنهم، فقط شكله مقارب لأشكالهم، وطريقة تفكيره — رغم أنها بدائية– إلا أنها ليست متباينة كثيراً عن طريقة تفكيرهم..

استعصى الكوكب وسكانه على تلك الكائنات الشريرة، فلم يتمكنوا بأي شكل من النفوذ إليه، لأن المجلس الاستشاري أحاطه وتوابعه بأمواج من الطاقة القاتلة لكل عنصر عدواني غريب.. ولكن وجود ذلك الكائن بعد أن سيطر عليه الأشرار، كان من الممكن أن يؤثر في دفاعاتهم، بعد أن فشلوا تماماً في تخليص ذلك الكائن من سيطرتهم على دماغه..

كانت تعلم وهي تفكر بذلك، أنه لم يكن هناك اختيار أمام المجلس الاستشاري، الذي قرّر ترحيله، حتى لا يؤثر وجوده عليها نفسها وعلى ساكني الكوكب.. وعلى هذا تقلبت القرار بصمت، والحزن يعصف بقلبها، رجّعت صورته وهو غائب عن الوعي وفكرت:

«حين سيصحو كم ستكون المفاجأة قاسية عليه! آه يا حبيبي ستظل في خاطري نغماً حلواً لا أمل من ترجيعه. وستكون أوّل مهمة لي بعد مجيء طفلنا القادم، أن أرسم له طريق البحث عنك، مهما سيكون الطريق صعباً، محفوفاً بالمخاطر..»..

أخذت المحطة تبتعد، تابعتها المحطة البصرية، تغلغلت عدساتها إلى قلبها تستكشف الكائن المغمى عليه، الذي لاح لعلماء المحطة

البصرية أنه بدأ يتحرك، وأنه كمن يخضع لتعذيب هائل، فاستنفرت المحطات الأخرى، لمتابعة ما يجري ولفهم ما يتعرض له هذا الكائن الغريب من متاعب..

طلب رئيس المجلس الاستشاري أن يقابلها، فحضرت إليه، وبدأ الحوار التالي بينهما:

- تعلمين يا بنتي أن الكائن الفاعل ينتصر دوماً على العوامل الذي تتحدى سعادته.. ما جرى كنا نتوقعه ولو بصورة أخرى، أليس كذلك؟

- نعم..

- إذن تقبلي الظروف الجديدة، وكوني فاعلة في عملك كما عهدناك..

- سأحاول..

- ماذا تقولين؟ لا مكان للمحاولة في مثل حالتك، لم لا تقولين سأفعل؟ أنت تتبوئين مركزاً مهمّاً في لجان البحث، لا أريد أن يتبوأه غيرك.. تعرفين يا بنتي أن الحزن ملغى من قواميسنا لأنه يؤثر في النتاج، ولأن مسبباته اندثرت من مجتمعاتنا..

- ولكن حزني..؟

– أعلم أن حزنك طفرة نادرة، ولكن يجب أن تنتصري على مسبباته. ستكلفين مهامَّ جديدةً، لأنك لا تزالين تحوزين ثقة المجلس الاستشاري، وتذكري الجنين الذي تحملين..

– حسناً يا سيدي..

– هيا يا بنتي، لا تدعي لليأس مكاناً في قلبك، أنت جزء فاعل من مجموعة، أمامك أعباء جديدة، يجب أن تكوني جديرة بتحملها .. وأنا والمجلس الاستشاري على ثقة من قدرتك..

خرجت من اللقاء، وقد انقلبت إنسانة جديدة، يملؤها الأمل والتفاؤل، وقد أثرت فيها كلمات رئيس المجلس الاستشاري الذي أفرد لها وقتاً، لمقابلتها، رغم أنه من النادر أن يقابل عضوة في لجان البحث لكثرة مشاغله وأعبائه، ولكن وضعها يختلف عن السابق، هي في محنة حقيقية شغلت سكان الكوكب برمتهم، ويجب أن تكون على مستوى التحدي.. ستنذر نفسها لعملها ولطفها، وسيظل حبيبها، ذكرى عذبة في قلبها، وحافزاً لمضاعفة جهدها لتنشئة طفلها القادم، النشأة المناسبة..

ما أعظم شوقها لمجيئه، أليس ثمرة لهذا العشق الكوني الذي جمعها مع كائن من عالم يختلف عن عالمها؟

اندفعت إلى عملها بكل همة ونشاط، وبدأت بتنفيذ البرنامج الجديد المقرّر لها من قبل المجلس الاستشاري، والجنين الذي يتحرك في بطنها يزيدها ثقة وتفاؤلاً..

-٣-

الخاتمــة

« .. حبيبتي الغالية.. وصلت إليّ رسالتك عن طريق ذاكرة العقل الإلكتروني، أحسست بفجيعتي، بفقدانك تزداد، وانتابتني كآبة سحقت قلبي، وأنا أرجّع صورتك وطيفك الرقيق، دون أن أملك نفسي عن البكاء. أبث كلماتي هذه عبر جهاز الإرسال، علّ محطة القدرة السمعية في كوكبكم تلتقطها.. قاسيت كثيراً، عذبتني تلك القوة الطاغية، محاولة السيطرة علي، ولكنني قاومت حتى آخر نفس، ولم أخيب ظنك بي، ليتني أملك القدرة للعودة إليك، والتحرر من وظيفتي المرتبطة بأناس آخرين في كوكبنا، بثّوا لي رسائل كثيرة يستفسرون عني، وكان جواب العقل الإلكتروني عن رسائلهم واحداً في كل مرة: «إنه خارج السفينة، فقدنا الاتصال به نعتقد أنه بأمان «أنا في طريق العودة الآن، أحلم بك، طيفك زادي، وذكرياتي معك، وأملي بلقياك، ما يشجع بي الرغبة في الحياة..».

كانت السفينة تتجه صوب كوكب الأرض، وهو شارد الفكر، يضع آلاف الاحتمالات في رأسه عن التطور الذي قد يكون طرأ على كوكب الأرض خلال السنوات الطويلة. التي مرّت عليه، على حين هو لم يمض على رحلته حسب توقيت سفينته سوى سنة وبضعة شهور، قطع خلالها ملايين الكيلومترات بسرعات خيالية، قاربت أحياناً سرعة الضوء، لم يكبر في العمر كثيراً سوى تلك المدة، لأن تمدد الزمن كان في صالحه، والأرض تمر عليها السنوات الطويلة، وهو لا يحس بها سوى أيام قليلة في سفينته..

بدأ العقل الإلكتروني يؤشر إلى اقتراب السفينة من المجموعة الشمسية، طافت في ذهنه صورة عابرة لرجل وحيد على شاطئ بحر يرقب الشمس وهي تنحدر إلى المغيب، وقد بدا قرصها المحمرّ وهو ينزلق خلف حافة الأفق، بعد أن غمر الكون بلون الشفق، الذي ألقى على الروابي الصغيرة سحر الغروب.. تخيل نفسه يقف خلف صخرة عالية وأمامه البحر الهادئ الموج، يعكس بخطوط متطاولة ضوء الشمس التي تختفي تدريجياً خلف أفق البحر، انتابه الحزن، لم تعطه تلك الصورة عن سحر الغروب سوى الحزن. وهو يتذكر تلك الحبيبة البعيدة التي عاش معها أحلى فترات حياته، لاح له طيفها يقطر وداعة وحناناً :

أتستطيع نسياني؟

دمعت عيناه، لم يرد الانفصال عنها، ولكن القدر أراده، كان قلبه يختلج من الوجد، وهو يعيد سماع رسالتها في جهاز ذاكرة العقل الإلكتروني.. ويتخيلها في ذلك الكوكب البعيد، تتنسم أخباره عن طريق محطات القدرة، تأخذ بيد طفلة صغيرة حلوة من صلبه، تعلمها كيف تقفو آثار أبيها الذي رحل بعيداً، عائداً إلى عالم مجهول، جديد عليه تماماً، بعد أن فارقه لسنوات طويلة..

أحس بالعزاء قليلاً، وطفرت الدموع من عينيه، وهو يسمع نداء المحطة الأرضية، التي تلقت إشارات أجهزة البث في سفينته.. وخيل إليه أنها تختلط بإشارات أخرى من كوكب بعيد في المجرة، ترك فيه حبه وذكرياته وأمله بطفلة مجهولة تأتي من رحم الغيب تبحث عن أبيها في فضاء واسع فسيح الأرجاء، يحفل بممالك وكائنات متطاحنة متصارعة في سبيل إثبات وجودها، مؤمناً أن محصلة حروبها مهما طالت هي انتصار الخير في الكون..

المحتوى